جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

موازنات بلاغية بين استلزام المعاني واقتضاءات الفاصلة
" سورة الناس نموذجا "

الدكتور
أحمد عوض عبد العزيز قطب
المدرس بقسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بأسيوط
جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م
الجزء الخامس
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م
الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

موازنات بلاغية بين استلزام المعاني واقتضاءات الفاصلة

" سورة الناس نموذجا "

أحمد عوض عبد العزيز قطب

المدرس بقسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بأسيوط ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني :ahmedkotb.47@azhar.edu.eg

الملخص :

يقوم البحث على بيان ما تقضيه الفاصلة القرآنية من المعاني في حالة الوقف عليها بالرغم من ارتباطها الإعرابي مع الآيات التي قبلها أو بعدها، وذلك من خلال الموازنة بين حالة المعنى في هذا الاقتضاء وبين تجاذب العلاقة الجامعة بين الآيات إعرابيا ومعنويا، وكل هذا في ظل التكامل المعنوي لخدمة المعنى الأم للسورة القرآنية، وقد وقع الاختيار على سورة الناس نموذجا لهذا البحث؛ لكون سورة الناس تمثل بمجموعها جملة واحدة إعرابيا، ولكنها مكونة من ست آيات كريمات، وقد قسمتها أسلوبيا إلى قسمين: الثلاث الآيات الأول وتجمعهم علاقة العموم والخصوص، والثلاث الآيات الأخر، وتجمعهم علاقة الإجمال والتفصيل، وكان كل قسم أسلوبي من هذين القسمين يستلزم معنى واحدا؛ فاستلزم القسم الأول كونه تعالى مستعاذا به، كما استلزم القسم الثاني كونه مستعاذا منه، وكلا القسمين منشقان من رحم المعنى الأم للسورة وهو: الاعتصام والالتجاء بالله من كل شر خفي؛ وكل آية في كل قسم تمثل فاصلة قرآنية تقتضي من المعاني ما يخدم المعنى الأم للسورة، فالثلاث الآيات الأول في معنى استلزام كونه مستعاذا به داخل علاقة العموم والخصوص =تقتضي كمال التلطف والتربية، وكمال النفاذ والقدرة، وكمال التضرع والقربى، أما الثلاث آيات الأخر في معنى استلزام كونه مستعاذا منه داخل علاقة الإجمال والتفصيل فتقتضي كمال الحذر من جنسه، وكمال الحذر من فعله، وكمال الحذر لتعدد جهته.

الكلمات المفتاحية : موازنات ، استلزام ، اقتضاءات ، الفاصلة ، الناس .

Rhetorical balances between the requirements of meanings and "Surat An-Nas is an example" the requirements of the comma

Ahmed Awad Abdel Aziz Qutb

Lecturer in the Department of Rhetoric and Criticism at the Faculty of Arabic Language in Assiut - Al-Azhar University - Arab Republic of Egyp

Email: ahmedkotb.47@azhar.edu.eg

Abstract

The research is based on clarifying the meanings of the Qur'anic comma in the case of pausing on it, despite its grammatical connection with the verses before or after it, through balancing the state of meaning in this requirement and the attraction of the comprehensive relationship between the verses, grammatically and morally, and all of this in light of moral complementarity. To serve the main meaning of the Qur'anic surah, Surat Al-Nas was chosen as a model for this research. Because Surat Al-Nas as a whole represents one syntactic sentence, but it is made up of six noble verses, and I divided it stylistically into two parts: the first three verses, united by the relationship of generality and specificity, and the other three verses, united by the relationship of generality and detail, and each stylistic section of these two sections required one meaning; So the first section necessitates that God Almighty seeks refuge in Him, just as the second section necessitates that He seeks refuge from Him, and both sections are derived from the mother meaning of the Surah, which is: holding fast and seeking refuge in God from every hidden evil. Each verse in each section represents a Qur'anic comma that requires meanings that serve the main meaning of the surah. The first three verses are in the sense of requiring that he be sought refuge in Him within the relationship of generality and specificity = they require perfect kindness and upbringing, perfect penetration and ability, and perfect supplication and kinship. As for the other three verses, they are in the meaning of The necessity of his being sought refuge from Him within the relationship of generality and detail, so it requires perfect caution from its type, perfect caution from its action, and perfect caution due to the multiplicity of its directions.

Keywords : budgets, obligations, requirements, comma, people.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

..... وبعد؛

فإن من المسلمات في القرآن الكريم كون الوقف على فواصل الآيات أمرا توقيفيا ووحيا من عند الله – سبحانه وتعالى – تعلمه النبي صلى الله عليه وسلم من الله وحيا، وعلمه لأصحابه من كتبة الوحي ونقله إلينا تواترا التابعون من بعدهم بالصورة التي عليها المصحف الشريف إلى يومنا هذا؛ وهناك كثير من فواصل آيات القرآن الكريم يظهر فيها الارتباط الإعرابي، كأن تكون الآيتان جملة واحدة فصلت بينهما الفاصلة القرآنية؛ فالآيتان مع بعضهما يستلزمان معنى يخدم السورة، وكذلك الوقف على الفاصلة يقتضي معنى يخدم السورة أيضا وذلك على وجه التكامل، إلا أن هنا دقائق ولطائف بين المعنيين: في حالة الوقف على الفاصلة، وفي حالة الوصل بين الآيتين؛ كما يوجد ذلك في الآية الواحدة فيما يقف فيه القاري على بعض الآية لوجود الوقف الجائز الذي يجوز معه الوقف ويجوز معه الوصل، وفي حالة الوقف يُفهم منه معنى، وفي الوصل يفهم منه معنى آخر، وكل هذا ليس ببعيد عن مقصود السورة، فمثلا في قوله – تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[1] الوقف علي قوله – تعالى: "لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ" يفيد

(١) سورة: غافر آية: ١٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

استفهاما، فإذا عاد ووصل الآية في قوله – تعالى: "ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ" كانت الإجابة على الاستفهام السابق وهكذا، أما إذا كان الوقف فاصلة قرآنية توقيفية، فإن الحاجة إلى معرفة ما تقتضيه هذه الفاصلة من المعنى أحوج خاصة إذا كانت الصلة بين الآيتين صلة إعرابية فهما جملة واحدة كما في قوله– تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾(١) فالآيتان جملة إعرابية واحدة يربطهما الاستثناء، ومع ذلك جاءت بينهما الفاصلة، فكان الوقف على الفاصلة يقتضي معنى، والوصل يستلزم معنى آخر، وكلاهما متصل بمقصود السورة؛ فمن هنا كانت فكرة البحث هذا الذي عنون له بـ" **موازنات بلاغية بين استلزام المعاني واقتضاءات الفاصلة "سورة الناس نموذجا**" للوقف على المعنى في حالة الوقف على الفاصلة، وحالته في الوصل بين الآيتين موازنة بينهما، مع اتخاذ سورة الناس نموذجا لهذه الدراسة باعتبارها تمثل جملة واحدة إعرابيا.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مبحثين مسبوقين بمقدمة وتمهيد ومتلوين بخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وفيها بواعث الموضوع، والهدف منه، وخطته.

التمهيد: وفيه أربعة محاور:

أولا: خصائص السورة.

ثانيا: العلاقة بين المعنى والفاصلة.

ثالثا: العلاقة بين المعنى والوقف.

---

(١) سورة: الكهف آية: ٢٣ – ٢٤.

رابعا: العلاقة بين المعنى والإعراب.

المبحث الأول:

تجاذب العلاقة بين العموم والخصوص وما يستلزم كونه مستعاذا به وبين ما تقضيه الفاصلة من:

- كمال التلطف والتربية.
- كمال النفاذ والقدرة.
- كمال التضرع والقربي.

المبحث الثاني:

تجاذب العلاقة بين الإجمال والتفصيل وما يستلزم كونه مستعاذا منه، وبين ما تقتضيه الفاصلة من:

- كمال الحذر من جنسه.
- كمال الحذر من فعله.
- كمال الحذر لتعدد جهته.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التمهيد

أولا: خصائص السورة:

من خصائص السورة الكريمة تميزها بكونها ختام القرآن الكريم وعلى هذا فيها من معاني حسن الختام ما فيها، فإذا كان القرآن الكريم يمثل غاية عظمى ومقصودا واحد كما قرر علماؤنا في كون "القرآن الكريم آت إلى غاية عظمى جاءت كلماته، وآياته، ومعاقده، وسوره تتناسب وتتآخى للبلوغ إلى تلك الغاية، وذلك المغزى، ولتوصل إلى القلب المعافى من الاستكبار معاني الهدي إلى الصراط المستقيم المنتهي إلى رضوان المتكلم بهذا الكتاب الكريم جل جلاله"(١)، فلا تفهم الكلمة إلا من خلال مقصود الآية ولا تفهم الآية إلا من خلال مقصود المعقد فيه ولا يفهم المعقد إلا من خلال مقصود السورة، ولا يفهم كل ذلك إلا من خلال مقصود القرآن الكريم كله(٢) =فإن القرآن الكريم كله كالجملة الواحدة تمثل هذه السورة ختامها؛ وإن كان حديث العلماء عن حسن الختام في القرآن – فيما أعلم – تناول كل سورة على حدة في قولهم: "وجميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن ونهاية الكمال، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض، وتحميد وتهليل، إلى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى في النفوس بعدها تطلع ولا تشوف إلى ما يقال"(٣) وقولهم: "المثال الأول: من آى التنزيل فإن الله تعالى ختم كل سورة من

(١) الأمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم للدكتور/ محمود توفيق سعد – الناشر: مكتبة وهبة القاهرة، عابدين ص ٢٠٥.

(٢) ينظر: نفسه ص ٢٢٩.

(٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري ت: ٦٥٤هـ – تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف – الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – الطبعة: بدون ص ٦٢٠.

سوره بأحسن ختام، وأتمها بأعجب إتمام، ختاما يطابق مقصدها، ويؤدى معناها، من أدعية، أو وعد أو وعيد، أو موعظة أو تحميد، أو غير ذلك من الخواتيم الرائقة، ألا ترى إلى ما ختم به سورة البقرة وسورة الفاتحة، فأما الفاتحة فختمها بما يناسب معناها ويطابق لفظها، من حسن التأليف وجودة الجزالة بذكر الصنفين المغضوب عليهم من اليهود والنصارى، وأن لا يجعلنا منهما، ويتم لنا هدايته الكاملة، إلى حججه الواضحة، وبراهينه النيّرة، واختتم سورة البقرة بتعليم الابتهال إليه في مغفرة الخطايا وترك تحمل الأثقال والإصر والنصرة على الكفار، ونحو اختتام سورة آل عمران بالخواتيم الحسنة من الوصايا بالصبر على المكاره، والمصابرة على الجهاد لأعداء الله، وإشادة معالم الدين وإظهار أحكامه، والرابطة للخيل في الجهاد وإعدادها للغزو، وبالتقوى التي هي قوام الدين وملاكه، فمن أجل ذلك يحصل السبب في الفلاح في كل الأمور، وفى خاتمة سورة النساء بالتبجيل والتعظيم بالبيان والهداية، وبما كان من الوعد، والوعيد في خاتمة سورة الأنعام بقوله: إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ"[(١)]، فإذا كان النظر إلى القرآن الكريم كله باعتباره سورة واحدة تمثل أم الكتاب فاتحته ومطلعه، وتمثل الناس خاتمته ومقطعه فيجب النظر في مناسبة الناس خاتمة للقرآن وعلاقتها بمطلعه وفاتحته من وجهين: أولا: باعتبار تناسب المطلع مع المقطع، ثانية باعتبار كون الفاتحة تلي الناس؛ لكون القرآن – في اتصال أوله بآخره – كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها أو كما قالوا[(٢)].

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوي ت: ٧٤٥هـ – الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ه (١٠٤/٣) .

(٢) ينظر: مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم ت: ٥١٨هـ – تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد – الناشر: دار المعرفة – بيروت، لبنان – الطبعة: بدون (٣٩٧/٢).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فإذا كان مقصود القرآن الكريم " تعريف الخلق بالمَلِكِ، وبما يرضيه"[١] فسورة الناس في كونها ختاما لهذا المقصود تمثل غاية البيان الموجز في تحقيق معرفة الملك – سبحانه وتعالى – بكونه ربا، وملكا، وإلها، وكل لفظة من هذه الثلاثة يحمل بين طياته كل المعاني الجمهورية والإحسانية في القرآن الكريم كله، كذلك كل ما تقتضيه هذه المعاني من التوحيد وتحقيقه، وكل ذلك بعد تبصرة العبد بحق الله – سبحانه وتعالى – عليه بعد تدبره هذه المعاني وما تقتضيه في القرآن كله وبما سبق هذه السورة من آيات، وهنا يتوجه العبد إلى ربه ومليكه وإلهه بالاعتصام والالتجاء، وهذا على لاحب تحقيق رضا الله عليه، فكان مما يرضيه – سبحانه امتثال أمر الله باتخاذ الشيطان عدوا، والاستعاذة بالله منه ومن وسوسته، كذلك الاستعاذة من أعوان الشيطان جنا وإنسا؛ وكلما حقق العبد ذلك في بعده عن الشيطان وأعوانه تحققت له القربي لمولاه – سبحانه – وهذا من تعريف حق الملك بما يرضيه.

أما عن علاقة سورة الناس بأم الكتاب فيما يتعلق بعلاقة المطلع بالمقطع والفاتحة بالختام = فهو علاقة مقصود الفاتحة الذي هو: "مراقبة العباد لربهم"[٢] بمقصود الناس الذي هو: "الاعتصام بالإله الحق، من شر الخلق الباطن"[٣]؛ ومراقبة العباد لربهم تستوجب معرفته والعمل على ما

---

(١) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى " للبقاعي ت:٨٨٥هـ – الناشر: مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م (٢١٠/١).

(٢) نفسه (٢٠٩/١).

(٣) نفسه (٣٠٩/٣).

يرضيه، وهذا مقصود القرآن الكريم ومن هنا كانت الفاتحة تحمل إجمالا للقرآن إذ تحقيق المراقبة يتأتى بتدبر معاني القرآن الكريم كله جملة وتفصيلا، ومن هنا يعلم العبد بما تحقق لديه من هذا التدبر ألّا سبيل له من النجاة من كل شر إلا بالاعتصام بهذا الإله الحق، ومن هنا اتصل الافتتاح بالختام اتصال العلة بالمعلول إذ "مقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان ببراعة الختام وفذلكة النظام، كما أن الفاتحة شاملة لذلك لأنها براعة الاستهلال، ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالممثول"(١)، فهذا من علاقة فاتحة الكتاب بخاتمته على وجه الإجمال والإيجاز.

أما عن علاقة السورتين فيما يتعلق بكونهما طرفي القرآن الكريم، وبعد ما قرره العلامة البقاعي في قوله: "وبه أيضا يتضح أنه لا وقف تام في كتاب الله ولا على آخر سورة "قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ" بل هي متصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة التي هي أوله كاتصالها بما قبلها بل أشد"(٢)، فإن قوة العلاقة بين السورتين الكريمتين ظاهرة في كون المراقبة التي هي مقصود الفاتحة تتطلب تخلص العبد من وسوسة الجن والأنس حتى لا يُشغل عن هذه المراقبة في جميع أموره، كذلك الاعتصام بالله من شر كل باطن والتي هي مقصود سورة الناس تتطلب الاستعانة بالله – سبحانه وتعالى – وهذا يتحقق في الوصل بين قوله – تعالى: "مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ" بقوله –

(١) نظم الدرر في تناسب السور للبقاعي ت: ٨٨٥ه – الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – الطبعة: بدون(٢٢/٤٣٢).
(٢) نظم الدرر (١/١٥).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تعالى : " بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ "[١]، فإذا كان الأمر على هذا النحو فيكون القرآن الكريم كالجملة الواحدة معنويا، وهذا لا يخفى على أهل العلم؛ فإن سورة الناس تمثل في ارتباط آياتها جملة واحدة إعرابيا، وآياتها وإن فصلت توقيفيا إلا أنها تعرب كجملة واحدة واقعة مقول القول في قوله – تعالى: "قل" في بداية السورة، كذلك تعلق جملة القول بالفعل "أعوز"، وهذا من خصائصها.

وتلك الخصيصة في سورة الناس لا تخفى على من أوتي أوليات علم النحو في معرفة إعراب الجمل أن هذه السورة تمثل جملة واحدة يكمل بعضها بعضا، فلا تستطيع أن تفهم مدلول السورة كاملا بعيدا عن استكمال مفرداتها النحوية المتعلق بعضها ببعض؛ وهذا يرد على القائلين أو الداعين لنحو النص بديلا عن نحو الجملة، وتعليلهم عدم كفاية نحو الجملة بمتطلبات معرفة مكنون الكلام بخلاف نحو النص الذي يدرسه كاملا دون تجزئته إلى جمل صغيرة يكون همه فيها ضبط مفرداتها، وأن نحو الجملة لا يتعدى ذلك إلى إمكان وجود جمل مترابطة كليا عن طريق هذا النحو، وذلك بخلاف نحو النص[٢]

(١) سورة: الفاتحة آية:١.

(٢) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحو للدكتور/ أحمد عفيفي – الناشر: مكتبة زهراء الشرق ١١٦ ش محمد فريد، القاهرة – الطبعة الأولى ٢٠٠١م ص ٦٥.

ثانيا: العلاقة بين المعنى والفاصلة:

الفاصلة: مأخوذة من الفصل البون بين الشيئين، أو الحاجز بين الشيئين، والفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصل النظم، وعقد مفصله أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة(١)، وعرفها الزركشي بقوله: "وهي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"(٢) ويفهم من كلام الزركشي – رحمه الله – في تشبيهه الفاصلة بقافية الشعر، وقرينة السجع كون الفاصلة علامة استقلال الآية القرآنية عن التي تليها كما يستقل البيت بقافيته عن البيت الذي يليه، والفقرة بسجعها عن الفقرة التي تليها، وليس المراد تشبيه الآية ببيت الشعر، أو بالمسجوع من كلام الناس لكون القرآن الكريم يشرف عن ذلك، حيث كان مراده – رحمه الله – تعريف موقع الفاصلة وذلك لقوله: "وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية قد فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجاعا"(٣).

ومن حيث تعلق المعنى بالفاصلة تعريفا، فقد جعلها الباقلاني – رحمه الله – أصلا لفهم المعنى المراد من الآية، وهذا فرق بينها وبين الأسجاع في

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور ت: ٧١١ه – الناشر: دار صادر، بيروت – الطبعة: الثالثة ١٤١٤ هـ (٥٢١/١١) مادة: ف ص ل.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ت: ٧٩٤ه – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركائه – الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧ م (٥٣/١).

(٣) نفسه (٥٣/١).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

اتباع المعاني للسجع، واتباع الفواصل للمعاني، وذلك بقوله: "وأما " الفواصل ": فهي حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني وفيها بلاغة، والإسجاع عيب، لان السجع يتبعه المعنى، والفواصل تابعة للمعاني"(١)

فعند الحديث عن الفاصلة وعلاقتها بالمعنى يمكن تناول ذلك بعدة اعتبارات إما لكون الفاصلة رأس المعنى في الآية القرآنية، وإما لكونها مستقر المعنى في هذه الآية، وهذا المعنى يمثل أحد دائرتين على لاحب المعنى القرآني، وذلك إذا كانت الآية القرآنية تمثل جملة من المعقد الكلي وهذا يكون في الآيات القصار، أو تكون الآية مكونة من عدة جمل كل جملة منها تمثل جزءا من هذا المعقد، وعلى هذا تتسع دائرة المعنى وتنقبض بحسب طول الآية وقصرها كما يقول الدكتور محمود توفيق: "في سياق التلاوة نرى أربع دوائر يحيط بعضها ببعض وفقا لاتساع كل دائرة، فكل دائرة منها هي أقل اتساعا تقوم في رحم الدائرة الأوسع؛ تلك الدوائر هي دائرة الآية، فالمعقد، فالسورة ، فالقرآن الكريم، ويمكنك أن تقول هي خمس دوائر بجعلك الجملة دائرة تحيط بها دائرة الآية، تحيط بها دائرة المعقد، تحيط بها دائرة السورة، تحيط بجميع الدوائر دائرة السياق القرآني الكريم"(٢)، وسواء كانت الفاصلة القرآنية رأس الدائرة في الجملة، أو في

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ت: ٤٠٣هـ – تحقق: السيد أحمد صقر – الناشر: دار المعارف – مصر – الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م ص ٢٧٠ وما بعدها.

(٢) العزف على أنوار الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة للدكتور/ محمود توفيق سعد – الناشر: بدون، الحقوق محفوظة للمؤلف – الطبعة: الأولى ١٤١٤ه ص ١٤.

المعقد في كونها مستقر المعنى؛ فهذا يدل على كون المعنى هو الذي طلبها فعلاقتها بالمعنى تلازمية؛ وقد جعل العلماء علاقة الفاصلة بمعنى الآية التي هي رأسها على وجه من وجوه: التمكين، أو التوشيح، أو التصدير، أو الإيغال، وذلك تحت ما يعرف بائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام(١).

ودار كلام من كتب في علوم القرآن في بيان علاقة الفاصلة بمعنى آياتها حول هذه الوجوه الأربعة ، وسوق الشواهد القرآنية الدالة على ذلك، ودار أغلبها حول دلالة تمكن الفاصلة مع معنى الآية لما في هذا الوجه من التدبر والتأمل لإيجاد وجه المناسبة والعلاقة بين المعنى والفاصلة سواء في التوشيح أو التمكين لكون التصدير علاقته لفظية، أما الإيغال؛ فيأتي لتأكيد المعنى أو زيادة لمعنى جديد كما قال الزركشي: "والفرق بينها أنه إن كان تقدم لفظها بعينه في أول الآية سمي تصديرا، وإن كان في أثناء الصدر سمي توشيحا، وإن أفادت معنى زائدا بعد تمام معنى الكلام سمي إيغالا، وربما اختلط التوشيح بالتصدير؛ لكون كل منهما صدره يدل على عجزه والفرق بينهما أن دلالة التصدير لفظية ودلالة التوشيح معنوية ... والتمكين وهو أن تمهد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها مستقرة في قرارها مطمئنة في موضعها غير نافذة ولا قلقة متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم"(٢)، ثم أخذ في سوق شواهد للتمكين وأكثر من ذلك لكونه موضع التدبر فيه؛ لإيجاد العلاقة

---

(١) ينظر: البرهان (٧٨/١)، والإتقان في علوم القرآن ت: ٩١١هـ – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م (٣٤٥/٣).

(٢) البرهان (٧٨/١ وما بعدها).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بين الفاصلة ومعنى الآية الكريمة، وتبعه في ذلك صاحب الإتقان[١]، ومن ذلك قوله: "ومن أمثلة ذلك: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ ﴾[٢] فإنه لما تقدم في الآية ذكر العبادة وتلاه ذكر التصرف في الأموال اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب؛ لأن الحلم يناسب العبادات والرشد يناسب الأموال، وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾[٣] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾[٤] فأتى في الآية الأولى بـ "يَهْدِ لَهُمْ" وختمها بـ " يَسْمَعُونَ" لأنه الموعظة فيها مسموعة وهي أخبار القرون وفي الثانية بـ " يَرَوْا " وختمها بـ "يُبْصِرُونَ" لأنها مرئية، وقوله: "﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٥] فإن اللطيف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبر يناسب ما يدركه، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ إلى قوله:﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [٦] فإن في هذه الفاصلة التمكين التام المناسب لما قبلها"[٧]، وكل هذه الشواهد جاءت في آيات طوال تمثل الفاصلة فيها جملة مستقلة، وليس فيها شاهد لآية قصيرة؛ على حين فرق الشيخ المطعني بين فاصلة الآيات الطوال وفاصلة الآيات القصار على اعتبار

---

(١) ينظر: الإتقان (٣/ ٣٤٥ وما بعدها).
(٢) سورة: هود آية: ٨٧.
(٣) سورة: السجدة آية: ٢٦.
(٤)) سورة: السجدة آية: ٢٧.
(٥) سورة: الأنعام آية ١٠٣.
(٦)) سورة المؤمنون آية ١٢: ١٤.
(٧) الإتقان (٣٤٦/٣).

استقلال الفاصلة في الآيات الطوال سواء كانت الآية في سورة من القصار أو الطوال أو المتوسطة؛ فإن فاصلة الآيات الطوال تتسم بكونها جملة مستقلة تأتي لإفادة معنى معين متعلق بالآية أو وظيفة معينة التعليل، أو الإنكار، أو التوكيد، أو الترغيب، أو زيادة الإيضاح، أما فاصلة الآيات القصار – سواء أكانت في سورة قصيرة أو طويلة أو متوسطة – فتكون جزءا من الآية نحويا وعلى هذا فهي جزء من معنى الآية لا ينفصل عنها؛ لكونها لا تتسم بالاستقلالية لكونها ليست جملة تامة، وقد تكون رأس جملة قصيرة خاطفة، حذف أحد ركنيها، أو معمول عامله تقدم ذكره في الآية؛ فيتوقف تأدية معنى الآية على هذه الفاصلة لكونها جزءا من بنائها الرئيس؛ فلا يتم المعنى حتى يتم الوقف عليها(١).

(١) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته للدكتور/ عبد العظيم المطعني ت: ١٤٢٩هـ – الناشر: مكتبة وهبة – الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م (١/٢٣٥ وما بعدها).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثالثا: العلاقة بين المعنى والوقف.

الوقف على الفاصلة له علاقة وثيقة بالمعنى، لكون الفاصلة في الغالب هي نهاية المعنى في الآية، حتى ولو كان المعنى للآية لم ينته بانتهاء الفاصلة فالوقف عليها جائز؛ إما لكون الوقف عليها توقيفيا، وإما لسر معنوي لا يعلمه كثير من الناس؛ فيتعلق بالوقف على رأس الآية المتصلة بما بعدها معنى من المعاني، ولها مع الاتصال معنى آخر، وهذا أثرى في الدلالة، كذلك يرتبط الوقف بالمعنى ارتباطا وثيقا فعلاقة المعنى بالوقف علاقة حتمية، فقد يتم المعنى في الآية قبل الفاصلة؛ فيجوز الوقف عليه كما يجوز الوقف على الفاصلة في رأس الآية، بل إن المعنى قد يتعدى رأس الآية إلى الآية التي تليها فنأخذ بعضها أو كلمة منها، وهذا الوقف يكون، ويسمى بالوقف التام، لكونه مما يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده، ويكون عند انتهاء القصص، وأكثر ما يكون في الفواصل، وفي رءوس الآي كقوله: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾والابتداء بقوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[1]، وكذلك: ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾والابتداء بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[2] وكذلك:﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾والابتداء بقوله: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[3]، وكذلك ما أشبهه مما تنقضي القصة عنده، ويوجد في أخرى، وقد يوجد قبل انقضاء الفاصلة كقوله ﴿ وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ ﴾هذا هو التمام، لأنه انقضاء كلام بلقيس ثم

(١) سورة: البقرة آية ٥ – ٦.
(٢) سورة: البقرة آية ٢٩ – ٣٠.
(٣) سورة: البقرة آية ٤٦ – ٤٧.

قال عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾[١] وهو رأس الآية، وكذلك: ﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ ﴾هذا التمام أيضاً؛ لأنه انقضاء كلام الظالم الذي هو أبي بن خلف ثم قال تبارك وتعالى:﴿ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴾[٢] وهو رأس الآية، وقد يوجد بعد انقضاء الفاصلة بكلمة كقوله: ﴿ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۗ ﴾[٣]، رأس الآية ﴿ مُّصۡبِحِينَ ﴾ والتمام: ﴿ وَبِٱلَّيۡلِۗ ﴾ لأنه معطوف على المعنى، أي: في الصبح وبالليل، وكذلك: ﴿ عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤ وَزُخۡرُفٗاۚ ﴾[٤] رأس الآية ﴿ يَتَّكِـُٔونَ ﴾ والتمام ﴿ وَزُخۡرُفٗاۚ ﴾ لأنه معطوف على ما قبله من قوله: ﴿ سُقُفٗا ﴾[٥]، لأن المعنى: كذلك كان خبرهم، وقد يوجد أيضاً بعد آية أو آيتين أو أكثر[٦].

وهذا كله متعلق بالوقف التام حيث يتعلق الكلام بما قبله لفظا ومعنى، أما فيما يتعلق الكلام فيه بما قبله معنى فهو من الوقف الكافي فيحسن الوقف عليه، سواء أكان في ثنايا الآيات، أو على الفواصل في رءوسها؛ وذلك نحو الوقف على قوله: ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ ﴾ والابتداء بما بعد ذلك إلى قوله:﴿ أَشۡتَاتٗا ﴾[٧]وما أشبهه؛ وكذلك القطع على

---

(١) سورة: النمل آية ٣٤.
(٢) سورة: الفرقان آية ٢٩.
(٣) سورة: الصافات ١٣٧- ١٣٨.
(٤) سورة: الزخرف ٣٤ - ٣٥.
(٥) سورة: الزخرف آية ٣٣.
(٦) ينظر: المكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني ت: ٤٤٤هـ - تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان - الناشر: دار عمار - الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م ص ٨.
(٧) سورة: النور آية ٦١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الفواصل في سورة الجن، والمدثر، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، وما أشبههن، والابتداء بما بعدهن[١]، أما ما يحسن الوقف عليه، ولا يبتدأ بما بعده فهو من الوقف الحسن لكونه وقفا على رءوس الآيات وفواصلها، وإن كان متصلا بما بعده لفظا ومعنى[٢]، أما ما لا يفهم من معناه شيء، أو يضيع المعنى معه في الوقف فهو من الوقف القبيح[٣]؛ وهكذا يرتبط الوقف بالمعنى تماما، واكتفاء، وحسنا، وقبحا فيما يتصل بما بعده معنى وإعرابا.

(١) ينظر: المكتفى ص ١٠.
(٢) ينظر: نفسه ص ١١.
(٣) ينظر: نفسه ص ١٣.

رابعا: العلاقة بين المعنى والإعراب

إذا كان "أصل الإعراب هو الإبانة، والإعراب إنما يدخل في الكلام للإبانة عن المعاني"[١] فعلاقة الإعراب بالمعنى تلازمية، حيث يقال أعرب الرجل عن حاجته بمعنى أبان عنها فوجوه تسميته إعرابا تتعلق بالإبانة عما في النفس فهو إذا كان مأخوذا من قولهم: أعرب الرجل عن حاجته، إذا بينها؛ ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "الثيب تعرب عن نفسها"[٢] أي تبين وتوضح، أو كان مأخوذا من قولهم: "عربت معدة الفصيل" إذا تغيرت؛ ليتعلق بتغيير أواخر الكلمات، فإن قيل: "العرب" في قولهم: عربت معدة الفصيل؛ معناه: الفساد؛ وكيف يكون الإعراب مأخوذا منه؟ قيل: معنى قولك: أعربت الكلام؛ أي: أزلت عربه، وهو فساده، وصار هذا؛ كقولك: أعجمت الكتاب، إذا أزلت عجمته، وأشكيت الرجل، إذا أزلت شكايته، وهذه الهمزة تسمى: همزة السلب، أو كان مأخوذا من قولهم: امرأة عروب، إذا كانت متحببة إلى زوجها، قال الله تعالى: ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾[٣] ؛ أي: متحببات إلى أزواجهن، فلما كان المعرب للكلام، كأنه يتحبب إلى السامع بإعرابه؛ سمي إعرابا[٤] .

---

(١) علل النحو لابن الوراق ت: ٣٨١هـ – تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش – الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، السعودية – الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م ص ١٤٢.

(٢) من حديث ابن عدي الكندي عن أبيه، جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن لابن كثير ت: ٧٧٤هـ – تحقيق: د عبد الملك بن عبد الله الدهيش – الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، – الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م (١١٣/٦).

(٣) سورة: الواقعة آية ٣٧.

(٤) ينظر: أسرار العربية لأبي البركات الأنباري ت: ٥٧٧هـ – الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم – الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م ص ٤٤ وما بعدها.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولم يختلف التعريف الاصطلاحي للإعراب عن التعريف اللغوي كثيرا في كونه يرتبط بالمعنى المراد من الكلام، بل في تعريف ابن جني له، جعله أصلا في زوال الإبهام والتعمية على السامع في فهم المعنى المراد من الكلام، وذلك في قوله في تعريفه: "هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه وشكر سعيدا أبوه علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه"(١) فالفائدة لا تحصل في الكلام من غير الإعراب، فبه يفرق بين المعاني المختلفة، وبه يستدل السامع على معناه، فهو الهادي على لاحب العبارة فهو كما يقول ابن يعيش "لأن الإعراب إنما أتي به للفرق بين المعاني، وإذا أخبرت عن الاسم بمعنى من المعاني المفيدة احتيج إلى الإعراب ليدل على ذلك المعنى"(٢).

والغرض من ذكر علاقة المعنى بالإعراب فيما نحن بصدده هو اتصال بعض آيات القرآن إعرابيا مع وجود الفاصلة التي يكون الوقف عليها توقيفيا، مما يجعلنا أمام ثراء للمعنى من وجهين الوقوف على الفاصلة في تأدية معنى من المعاني، والوصل بالآية التالية ليتأتى لنا معنى آخر، وقد تتواصل آيات السورة جميعها فيما بينها إعرابيا، مع جواز الوقف على فواصل ورءوس آياتها، مما يجعل الفاصلة تقتضى معنى، ويستلزم الوصل بالآية التالية معنى آخر.

---

(١) الخصائص لابن جني ت: ٣٩٢ه – الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة: الرابعة بدون (١/ ٣٦).

(٢) شرح المفصل للزمخشري لابن يعيش ت: ٦٤٣ه – قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م (٢١٢/١ وما بعدها).

توطئة:

اتخذ الباحث من سورة الناس نموذجا لهذه الدراسة؛ وذلك لكونها تمثل جملة واحدة طويلة؛ فهي تمثل مقول القول لفعل الأمر ﴿قُلْ﴾ الذي بدأت به السورة الكريمة، وهي كباقي سور القرآن الكريم تدور حول معنى واحد إلا إن آياتها ترتبط إعرابيها، وتمثل كل آية من آياتها وحدة من وحدات المعنى يجوز الوقوف عليها كما يجوز الوصل بينها، إلا إن رسم آياتها يجعل الوقف على فواصلها توقيفيا.

وسورة الناس تدور حول معنى الاعتصام بالحق – سبحانه وتعالى – من شر كل باطن، أو من شر الباطن المأنوس به كما قال الشيخ البقاعي: "مقصودها الاعتصام بالإله الحق من شر الخلق الباطن، واسمها دال على ذلك لأن الإنسان مطبوع على الشر، وأكثر شره بالمكر والخداع، وأحسن من هذا أنها للاستعاذة من الشر الباطن المأنوس به المستروح إليه، فإن الوسوسة لا تكون إلا بما يشتهي"(١)، وعلى هذا المعنى العام للسورة؛ فالسورة الكريمة يمكن تقسيم معناها قسمين: ما يستلزم كونه مستعاذا به، وما يستلزم كونه مستعاذا منه؛ فالقسم الأول أو المعنى الأول يمثله ثلاث آيات في السورة الكريمة، وذلك في قوله – تعالى – :﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾(٢)، فكونه مستعاذا به يستلزم أحقيته بذلك من الاعتصام به – سبحانه – وهذا لا يكون إلا إذا كان ربا، وملكا، وإلها؛ أما القسم الثاني من معنى السورة الكريمة: وهو ما يستلزم كونه مستعاذا

(١) نظم الدرر (٤٢٣/٢٢).
(٢) سورة: الناس: آية ١: ٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

منه، وهذا المعنى يمثله الثلاث الآيات الأخرى في السورة، وذلك في قوله – تعالى – : ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾[1].

والسورة الكريمة قد اتخذت في كل معنى من هذين المعنيين أو هذين القسمين علاقة أسلوبية خاصة، فالقسم الأول الذي يمثله الثلاث الآيات الأول يتدرج من العموم إلى الخصوص "فبدأ بالعموم ثم أتبع بالخصوص ليكون أبلغ في تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه، وأوفى بالمقصود"[2]، أما القسم الثاني والذي يمثله الثلاث الآيات الأخر فيتدرج من الإجمال إلى التفصيل، ويظهر هذا في علاقة الآية الأولى من هذه الثلاث بالتي تليها لكونه "لما ذكر صفة المستعاذ منه، ذكر إبرازه لصفته بالفعل فقال:﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ ﴾ "[3]، فإبراز صفات المستعاذ منه فيه مزيد من التفصيل الذي أجمل بداية.

(١) سورة: الناس: آية ٤: ٦.
(٢) نظم الدرر (٤٢٦/٢٢).
(٣) نفسه (٤٣٣/٢٢).

المبحث الأول:

تجاذب العلاقة بين العموم والخصوص وما يستلزم كونه مستعاذا به وبين ما تقضيه الفاصلة من:

- كمال التلطف والتربية.
- كمال النفاذ والقدرة.
- كمال التضرع والقربي.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول:

تجاذب العلاقة بين العموم والخصوص وما يستلزم كونه مستعاذا به وبين ما تقضيه الفاصلة من:

كمال التلطف والتربية.

يمثل هذا المعنى وهو: كمال التلطف والتربية رأس المعنى في العلاقة الدالة على العموم الذي بدأت به الثلاث الآيات الأول التي تبين ما يستلزم كونه – سبحانه وتعالى – مستعاذا به، وكونه الأحق بالاعتصام من هذا الشر– هذا الاعتصام الذي هو المعنى الرئيس للسورة الكريمة – وهذا المعنى يمثله قوله – تعالى:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾، وإذا كان لفظ الرب مأخوذا من التربية التي مقصودها الأعظم يدور حول معنى التلطف والتربية، إلا أنها تفيد عموما في الدلالة يشمل معاني القدرة والقهر والاستيلاء وهذا ما يفيده لفظ الملك، كما في قوله تعالى:﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ لكون إثبات الملك له جاء بعد تنزيهه – سبحانه – اعتمادا على هذه الربوبية، وسياق الآيات: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1] كذلك يفيد لفظ رب عموما في الدلالة يشمل معاني أحقيته بالعبودية بكونه إلها وهذا ما يفيده لفظ إله، وعلى ذلك ورد لفظ الرب في القرآن الكريم في أخص مقامات

(١) سورة: الزخرف آية:٨٢: ٨٥.

التوحيد الكامل حيث أخبر عن لفظ الله بلفظ الرب كما في قوله – تعالى – : ﴿ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾[١] كذلك جاءت خصائص الألوهية مخبرا بها عن ذات الرب – سبحانه – كما في قوله – تعالى – : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[٢] وهكذا فإن تبادل مواقع لفظي(الله) و(رب) في القرآن الكريم، والإخبار بأحدهما عن الآخر يقطع بما بينهما من الخصائص المشتركة[٣]؛ وهكذا فالآيات الثلاث الأول في السورة تفيد تدرجا من العموم إلى الخصوص فالرب أعم من الملك، والملك أعم من الإله كما قال العلامة البقاعي: "ولما كان الرب والملك متقاربين في المفهوم، وكان الرب أقرب في المفهوم إلى اللطف والتربية، وكان الملك للقهر والاستيلاء وإظهار العدل ألزم، وكان الرب قد لا يكون ملكاً فلا يكون كامل التصرف، اقتضت البلاغة تقديم الأول وإتباعه الثاني، فقال تعالى: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾إشارة إلى أن له كمال التصرف ونفوذ القدرة وتمام السلطان، وإليه المفزع وهو المستعان، والمستغاث والملجأ والمعاد؛ ولما كان الملك قد لا يكون إلهاً، وكانت الإلهية خاصة لا تقبل شركاً أصلاً بخلاف غيرها، أنهي الأمر إليها وجعلت غاية البيان"[٤]، وهذا هو المعنى الذي يستلزمه كونه – سبحانه وتعالى – مستعاذا به في هذه الآيات، وهذه العلاقة التي تربط هذه الآيات تتجاذب فيما بينها في هذا المعنى، وبين ما تقضيه الفاصلة في حالة الوقف، في الدلالة على

---

(١) سورة: الشورى بعض آية:١٥.

(٢) سورة: الأعراف بعض آية: ٥٤.

(٣) ينظر: حوار في رواق أزهري للدكتور/ محمود حسن مخلوف – الناشر: مؤسسة بداري للطباعة، أسيوط – بدون ص ٥٠ وما بعدها.

(٤) نظم الدرر (٤٢٦/٢٢).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مقصود السورة الأعظم وهو الاعتصام بالحق – سبحانه – من شر كل باطن يستروح إليه.

إذا كان هذا ما تستلزمه العلاقة في العموم والخصوص فإن الفاصلة الأولى في قوله – تعالى –: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ تقتضي معنى كمال التلطف والتربية لأنه "لما كانت صفة الربوبية من صفات كماله سبحانه أليق بالحماية والإعانة والرعاية والخلق والتدبير والتربية والإصلاح، المتضمن للقدرة التامة والرحمة الواسعة، والإحسان الشامل والعلم الكامل، قال تعالى: ﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ أي أعتصم به أي أسأله أن يكون عاصماً لي من العدو أن يوقعني في المهالك"(١)؛ فإذا استعاذ العبد بربه من الناس يقتضي ذلك قدرته – سبحانه وتعالى – على حمايته؛ فيكون ملجأه في كل حاجاته وعوزه، واقيا له من كل ما يضره في علاقته مع الناس، وباعتباره هذا كان المستعيذ فردا من هؤلاء الناس استنادا لما أفادته "ال" من استغراق الجنس =فإن الاعتصام والحماية كما هي مطلوبة من الله للعبد من الناس كذلك يطلب العبد من مولاه وحاميه – سبحانه – أن يحميه من نفسه وشرورها، كذلك تقتضي الحماية دفع المضار عنه من الناس، ومن نفسه.

وكما يفيد الاعتصام بالرب – سبحانه – دفع المضار كذلك يفيد جلب المنافع وما يسر، وذلك يكون بالإعانة والرعاية والإحسان الشامل والعلم الكامل، وأروع الأمثلة في ذلك ما حكاه القرآن الكريم عن أصحاب الكهف في قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ

(١) نفسه (٢٢/٤٢٥).

هُدًى ﴾[١] فما كان سبب إعانة الله ورعايته لهم وإحسانه الشامل عليهم إلا لإيمانهم بربهم من حيث حققوا توحيد الربوبية لله من كون "أنهم قاموا بين يدي ملكهم دقيانوس الجبار، وقالوا: ربنا رب السموات والأرض، وذلك لأنه كان يدعو الناس إلى عبادة الطواغيت، فثبّت الله هؤلاء الفتية، وعصمهم حتى عصوا ذلك الجبار، وأقروا بربوبية الله، وصرحوا بالبراءة عن الشركاء والأنداد"[٢]؛ فتحققت عناية الله ورعايته لهم بالحفظ، وسلامتهم من أذى ملكهم، ودوام هذه الحماية والرعاية مدة مكوثهم في الكهف، ومن قبل ذلك كان من تلطفه – سبحانه – وتربيته لهم بأن زاد من هدايتهم بما قذف في قلوبهم من المعارف، وبما شرح صدورهم من المواهب كما قال الإمام البقاعي – رحمه الله – : "ولما دل على الإحسان باسم الرب، وكان في فعله معهم من باهر القدرة ما لا يخفى، التفت إلى مقام العظمة فقال تعالى عاطفاً على ما تقديره: فاهتدوا بإيمانهم: "وَزِدْنَاهُمْ" بعد أن آمنوا "هُدًى" بما قذفنا في قلوبهم من المعارف، وشرحنا لهم صدورهم من المواهب التي حملتهم على ارتكاب المعاطب، والزهد في الدنيا والانقطاع إليه"[٣]، وهذا شأنه – سبحانه – مع جميع خلقه فيمن اتخذه ربا؛ فيفضي عليه من نعمائه: حماية، وإعانة، ورعاية وإحسانا شاملا بعلمه الكامل تلطفا وتربية، وهذا العموم في الإنعام من رحم عموم الدلالة في لفظ "رب" ، هذا العلم الكامل الذي يدرك حقائق الناس، وما تنطوي عليه نفوسهم، فيستدعي ذلك من المولى العلي

---

(١) سورة الكهف آية ١٣.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ت:٦٠٦هـ – الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ (٤٤٢/٢١).

(٣) نظم الدرر (٢١/١٢).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تلطفا وتربية وإحسانا منه؛ لكون الإنسان كما لا يملك أمر غيره قد لا يملك أمر نفسه إلا برعاية وإحسان من ربه – سبحانه – فإذا حقق هذه الربوبية لخالقه أمن من خوف البخس والرهق لنفسه، حيث يحميه الله – سبحانه – من خلقه رعاية منه وإعانة له عليهم، وحفظا له منهم، فإذا ظُلم، فربه ناصره، كذلك يحميه ربه من نفسه إذا راودته على بخس غيره؛ يدل على ذلك قوله – تعالى –: ﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ [١] وعلى ذلك يشمل هذا الإنعام كل من يؤمن بربه، لما أفاده قوله: "مَن" في الآية الكريمة، يدل على ذلك أن هذا الإيمان كان سببا لحماية الجن من إيقاع السماء بهم لأنه "لما كان التقدير: فآمنا بسبب إيماننا الذي قادنا إليه حفظ السماء من الإيقاع بنا لتمام قدرته علينا الذي هدانا إليه منعنا من الاستماع بالحراسة، سببوا عن ذلك قولهم معترفين بالعجز عن مقاومة التهديد من الملك طالبين التحصن بتحصينه والاعتصام بحبله"[٢]، وجاء تقرير عموم هذا الإنعام على لسان الجن مع كونهم جزء من هذا العموم بما وقع عليهم من إنعامه – سبحانه – وذلك لكونهم عاينوا هذا الإنعام وعلموا سببه، وتحقق لديهم حقيقته، وأنه لا منجي غيره، فأقروا أن هذا الإيمان كما أنجاهم فهو منجٍ لغيرهم؛ وذلك لكونهم "لما فهموا أن دعاءه إليه وبيانه للطريق مع قدرته التامة إنما هو من عموم لطفه ورحمته، ذكروا وصف الإحسان لزيادة الترغيب فقالوا: "بِرَبِّهِۦ" أي المحسن إليه منا ومن غيرنا"[٣] فإذا كان المولى – سبحانه – قد نفى عن الذي حقق الإيمان الخوف من البخس والرهق،

(١) سورة الجن آية ١٣.
(٢) نظم الدرر (٢٠/٤٨٣).
(٣) نفسه (٢٠/٤٨٣).

وهو من باب نفي الأدنى لنفي الأعلى؛ لكون نفي خوف البخس والرهق من أصله ينفي حصول البخس والرهق له، وهذا يجمع له الاطمئنان والراحة بداية والأمن من الهضم والذلة بذلك الخوف من البخس والرهق =فهذا يدل على كمال التلطف والتربية في لفظ "رب"؛ فلطفه جاء من نفي الخوف عنها بداية، وتربيته له بألا يكون ممن يبخس الناس حقهم؛ حيث "قرأ الأعمش: فلا يخف، على النهى بَخْساً وَلا رَهَقاً أي جزاء بخس ولا رهق، لأنه لم يبخس أحدا حقا ولا رهق ظلم أحد، فلا يخاف جزاءهما؛ وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام[(١)]: "المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم"[(٢)]؛ فإذا حقق العبد هذا الإيمان بربه كان ربه عاصما له من كل ما يضره تلطفا منه سبحانه وتربية، لتعلق معاني الإحسان، والإصلاح، والرحمة الواسعة بهذه الربوبية ومن ثم تقتضي الفاصلة على لاحب استلزام معاني كونه – سبحانه وتعالى – مستعاذا به أجلّ دواعي الاعتصام به من شر كل باطن؛ فسعة رحمته، وجميل إحسانه تشمل كلّ معتصم، فهو القادر على إصلاح قلوب

---

(١) أخرجه ابن ماجة وابن حبان والحاكم من حديث فضالة بن عبيد بهذا. وأتم منه. وفي الباب عن أبى هريرة بلفظ «المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» وأخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم. وعن أنس أخرجه ابن حبان والحاكم أيضا. وعن أبى مالك الأشعرى وواثلة بن الأسقع، أخرجهما الطبراني مطولا. وأخرج حديث واثلة أبو يعلى. وعن عبد الله بن= =عمرو بن العاص أخرجه عبد بن حميد. ينظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري لجمال الدين أبومحمد عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي ت: ٧٦٢هـ – تحقيق: عبدالله بن عبدالرحمن السعد – الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض – الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ (٤/١٠٠-١٠٢)

(٢) الكشاف للزمخشري ت ٥٣٨ه – الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ (٤/٦٢٨).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

العباد من هذه الشرور، وذلك بهدايتهم إلى صراطه المستقيم، يدل على ذلك قوله – تعالى – ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [١] فإسناد الهداية إلى الرب – سبحانه وتعالى – لكونه هو أحق بالاعتصام والالتجاء دون غيره، فمنه الهداية والإحسان فقوله: "رَبِّيٓ" "أي المحسن إلي بكل خير لا سيما هذا الذي أوحاه إلي وأنزله علي"[٢] فمن جملة هذه الخيرات وعمومها: أحقيته في الاعتصام به من كل شر باطن، من حيث أنه رب الناس، وهذا ما تقضيه الفاصلة من كمال التلطف والتربية، موازنة بينها وبين ما تستلزمه المعاني، وهذا المعنى بهذا العموم يحمل من معاني النفاذ والقدرة والقهر، لكون من يكون أحق بالاعتصام والالتجاء يستوجب أن يكون قادرا ذا سلطان نافذ، وهذا ما تقضيه الفاصلة التالية.

(١) سورة الأنعام آية ١٦١.
(٢) نظم الدرر (٣٣٧/٧).

كمال النفاذ والقدرة

وهذا المعنى تفيده الآية التالية في قوله – تعالي: "مَلِكِ ٱلنَّاسِ"؛ فتدرج من العموم إلى الخصوص فيما يستلزمه كونه – تعالى – مستعاذا به؛ فإذا كان لفظ "رب" يقتضي كمال التلطف والتربية، وهذا يشمل كمال النفاذ والقدرة على العموم، ولما كان لفظ "رب" لا يقتضي ذلك النفاذ وتلك القدرة، تدرج إلى هذا الخصوص في لفظ "ملك" لهذا الاقتضاء، فالفاصلة في إيثار لفظ الملك بما يدل على نفاذ القدرة على الناس، حيث ترجع له سياستهم وإصلاح أحوالهم الظاهرة والباطنة؛ وذلك لاختصاص الملك بالتصرف في الأمر والنهي كما قال الراغب: " الملك: هو المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور، وذلك يختص بسياسة الناطقين، ولهذا يقال: ملك الناس، ولا يقال: ملك الأشياء"[(١)] فاختصاص الملك بسياسة الناطقين في الأمر والنهي يجعله سبحانه أملك لأمورهم ظاهرة وباطنة في إصلاح نفوسهم من الشرور التي قد تملك عليهم صدورهم تجاه غيرهم من الناس، وهذا يستلزم التوجه إليه سبحانه التجاء واعتصاما بكونه مستعاذا به.

كذلك تقتضي الفاصلة من المعاني في لفظ "ملك" بعد لفظ "رب" ما لا تقتضيه في غيره على نحو ما جاء في فاتحة القرآن الكريم في قوله – تعالى: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[(٢)] لفرق ما بين المالك والمَلك لما يختص به الملك من النفاذ لسلطان المُلك وليس سلطان المالكية، فقد لا يكون المالك ملكا، لأن الملك له نفاذ القدرة بسلطانه في كل

(١) المفردات ٧٧٤.

(٢) سورة: الفاتحة آية: ٢، ٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الملاك، والمالك إنما له نفاذ القدرة فيما تحته من الملك، فانصياع مملوكيه له ناشئ من امتلاك رقابهم والتحكم في قُوتهم فهو بالقهر أولى كما يقول العلامة الرازي: "المالكية سبب لإطلاق التصرف، والملكية ليست كذلك فكان المالك أولى. الرابع: أن الملك ملك للرعية، والمالك مالك للعبيد، والعبد أدون حالا من الرعية، فوجب أن يكون القهر في المالكية أكثر منه في الملكية، فوجب أن يكون المالك أعلى حالا من الملك، الخامس: أن الرعية يمكنهم إخراج أنفسهم عن كونهم رعية لذلك الملك باختيار أنفسهم، أما المملوك فلا يمكنه إخراج نفسه عن كونه مملوكا لذلك المالك باختيار نفسه، فثبت أن القهر في المالكية أكمل منه في الملكية. السادس: أن الملك يجب عليه رعاية حال الرعية، قال عليه الصلاة والسلام: "وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته[(١)]"[(٢)]، فوجوب رعاية حال الرعية من تدبير شئونهم؛ لضمان حسن معاشهم، واستواء حياتهم واستقرار أمرهم فيما بينهم يجعله – سبحانه باعتباره ملكا لهم أولى بالاعتصام والالتجاء وهذا يستلزم كونه مستعاذا به.

أما إذا كان الملك يحتمل الأمرين باعتباره – سبحانه – ملك الملوك، وهذا يستلزم كونه – جلا وعلا – متصفا بالقهر لغيره من العبيد مع النفاذ لأمره ورعايته لحال رعيته؛ ففي كلتى الحالتين؛ فهو إذا كان يملك على الناس قهرهم ونفاذ أمره بما تحت يده من ملك، فهو أيضا يملك نفاذ أمره

---

(١) جزء من حديث للنبي صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث سالم عن أبيه في كتاب: "الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم لأبي نصر محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي ت: ٤٨٨هـ – تحقيق: د. علي حسين البواب – الناشر: دار ابن حزم – لبنان/ بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م (٢/١٤١).

(٢) مفاتيح الغيب (١/ ٢٠٥).

عليهم وإن لم يملك قوتهم ورزقهم ورقابهم، وهذا يجعلهم في احتياج له في تدبير شئونهم اعتصاما به والتجاء، وهذا يجعل لفظ: "ملك" في هذه الآية متعين كما قال الرازي: "وحجة من قال إن الملك أولى من المالك وجوه: الأول: أن كل واحد من أهل البلد يكون مالكا أما الملك لا يكون إلا أعظم الناس وأعلاهم فكان الملك أشرف من المالك. الثاني: أنهم أجمعوا على أن قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾[1] لفظ الملك فيه متعين، ولولا أن الملك أعلى حالا من المالك وإلا لم يتعين"[2] فتعلق بتعينه اقتضائه من النفاذ والقدرة ما يستلزم كونه مستعاذا به.

كذلك اقتضاء لفظ: " ملك" قوته في حسن سياسته لرعيته وتعلقهم بهذا مطلقا؛ لأن هذه القوة تتعلق بها مصالحهم في أمنهم وهم في سياسته من المضار التي من الممكن أن تلحقهم من خلقه لولا خوف هؤلاء من عقاب ملكهم، وعدله في إقامة أمرهم فيما يتعلق بحقوقهم، فيما لهم، وما عليهم؛ فكانت سياسة الملوك أقوى من سياسة الملاك كما قال الرازي – رحمه الله –: "فسياسة الملوك أقوى من سياسة الملاك، لأنه لو اجتمع عالم من المالكين فإنهم لا يقاومون ملكا واحدا، ألا ترى أن السيد لا يملك إقامة الحد على مملوكه عند أبي حنيفة وأجمعوا على أن الملك يملك إقامة الحدود على الناس، وأما سياسة الملائكة فهي فوق سياسات الملوك، لأن عالما من أكابر الملوك لا يمكنهم دفع سياسة ملك واحد، وأما سياسة ملك الملوك فإنها فوق سياسات الملائكة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا

(١) سورة: الناس: آية ١: ٣.
(٢) مفاتيح الغيب (١/ ٢٠٥).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (١) ، **وقوله تعالى:** ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾(٢)، **وقال في صفة الملائكة:**﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾(٣)، **فيا أيها الملوك لا تغتروا بما لكم من المال والملك فإنكم أسراء في قبضة قدرة مالك يوم الدين ويا أيها الرعية إذا كنتم تخافون سياسة الملك أفما تخافون سياسة ملك الملوك الذي هو مالك يوم الدين"(٤)؛ فحسن سياسته – سبحانه – فيما يتعلق برعيته تستوجب اقتداره على جميع خلقه في عدله بمجازاة المخالفين عن أمره، والخارجين عن حكمه؛ فلا يجترؤون على عباده من خلقه الذين اعتصموا به، مما يجعل هؤلاء العباد حالة كونهم تحت سلطانه في أمان من الخارجين على حكمه؛ فما تقتضيه الفاصلة بهذا المعنى في لفظ: "رب" من دفع المضار عنهم مما يستلزم كونه مستعاذا به.**

كذلك مما يقتضيه لفظ: "ملك" كمال نفاذ أمره وسلطانه بعدم تعرض هذا النفاذ وذلك السلطان للنقص مطلقا؛ لأن نفاذ أمره لا يتعلق بما تحت يده من ملك بخلاف المالك الذي يرتبط نفاذ أمره بما يملك؛ فينتقص بانتقاص ملكه كما قال الرازي – رحمه الله – : "من أحكام كونه تعالى ملكا أنه ملك لا يشبه سائر الملوك لأنهم إن تصدقوا بشيء انتقص ملكهم، وقلت خزائنهم، أما الحق – سبحانه وتعالى – فملكه لا ينتقص بالعطاء والإحسان، بل يزداد، بيانه أنه تعالى إذا أعطاك ولدا واحدا لم يتوجه حكمه إلا على ذلك الولد الواحد، أما لو أعطاك عشرة من الأولاد كان حكمه وتكليفه لازما على الكل،

---

(١) سورة: النبأ آية ٣٨.
(٢) سورة: البقرة آية ٢٥٥.
(٣) سورة: الأنبياء آية ٢٨.
(٤) مفاتيح الغيب (١/ ٢٠٥).

فثبت أنه تعالى كلما كان أكثر عطاء كان أوسع ملكا"[١]؛ فملكه – سبحانه – يزداد بعطاياه وإنعامه؛ لاقتضاء هذه الزيادة زيادة حسن السياسة بإقامة العدل الذي يحفظ لكل مسوس ما أنعم عليه، بخلاف المالك الذي تنتقص سياسته بنقص ما في يديه من موجبات ملكه على عبيده ومملوكية من العطايا والانعام، وهذا الاقتضاء مما يستلزم كونه مستعاذا به.

وإذا كان لفظ: "ملك" على ما سبق ذكره من وجوب رعاية وحفظ وتدبير شئون لرعيته، وحمايتهم من المخالفين عن أمره، والخارجين عن حكمه، وإقامة عدله، وزيادة عطائه وإنعامه؛ فهو أيضا يقتضي رحمته بهذه الرعية تفضلا منه – سبحانه – وتكرما يدل على ذلك اختصاص لفظ الملك بهذه الرحمة يوم القيامة في قوله – تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾[٢] "ففي إضافة الملك إلى الرحمن دون ما لله – سبحانه – من صفات أخرى في هذا إشارة إلى ما لله – سبحانه وتعالى – من رحمة بعباده في ذلك اليوم، الذي تلتمس فيه الرحمة، ويلاذ فيه بجناب الرحمن الرحيم.. فحساب الناس، في هذا اليوم، هو إلى ربّ رحمن، رحيم، وأن ما ينال العصاة والمذنبين، والمنحرفين من عذاب، هو ممسوس برحمة الله، لا يراد منه، إلا تطهير هذه النفوس الخبيثة، وإلّا شفاء هذه القلوب المريضة.. وليست النقمة ولا التشفي مما يتصل بهذا العذاب الذي يلقاه العصاة.. فإنه لا ينتقم ولا يتشفّى إلا من كان عاجزا فقدر، وإلّا من كان عدوّا، فقهر، ثم انتصر.. وتعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا.. فالناس خلقه، وصنعة يده.. هو الذي أوجدهم، وربّاهم، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة.. ولا يتفق الانتقام والتشفّي، مع

(١) مفاتيح الغيب (١/ ٢٠٦).
(٢) سورة: الفرقان آية. ٢٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الإنعام والإحسان، وإن صحّ ولزم الإصلاح، والتقويم"[١] فمن اقتضاء نعمائه ظاهرة وباطنة رحمته بعباده في الدنيا والآخرة وهذا يستلزم كونه مستعاذا به، ورحمته في الآخرة دليل على أنه لا ناج من قهره في هذا اليوم إلا من نالته رحمته، وهذا يقتضي زوال الخوف بحصول هذه الرحمة كما قال الرازي: " لما أثبت لنفسه الملك أردفه بأن وصف نفسه بكونه رحمانا، يعني إن كان ثبوت الملك له في ذلك اليوم يدل على كمال القهر، فكونه رحمانا يدل على زوال الخوف وحصول الرحمة"[٢] ، وهذا يستلزم كونه الملجأ والمعتصم به في كل أمر، وهذا يستلزم كونه مستعاذا به.

ومما يدل على اقتضاء لفظ: "ملك" كمال رحمته – سبحانه – سبق رحمته سبحانه على ملكه وذلك في قوله – تعالى –: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[٣] وقوله – تعالى –: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾[٤] فبعد أن جمع – سبحانه بعد تفرده بالوحدانية علمه للغيب والشهادة ورحمته(رحمانية ورحيمية) بنى على التفرد مع الجمع صفات جلاله، وأول هذه الصفات: ملكه – سبحانه – لتمتزج صفات جلالة بالملك مع صفات جماله بالرحمة، وهذا يجعل لفظ: "ملك" يقتضي كمال الرحمة، وهذا الكمال يقتضي كمال الإحسان السابق مع لفظ: "رب" في قوله

(١) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب ت: بعد ١٣٩٠هـ – الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة – الطبعة: بدون (١٠/١٠).
(٢) مفاتيح الغيب (١/ ٢٠٦).
(٣) سورة: الفاتحة آية: ٢، ٣.
(٤) سورة: الحشر آية: ٢٢، ٢٣.

– تعالى: "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ " "فذكر أولا كونه ربا للناس ثم أردفه بكونه ملكا للناس، وهذه الآيات دالة على أن الملك لا يحسن ولا يكمل إلا مع الإحسان والرحمة"(١) لتتكامل المعاني في استلزام كونه – تعالى – مستعاذا به ومن هذه المعاني وتلك الأحكام اقتضاء كمال الرحمة في لفظ : "ملك" كمال قال الرازي: "من أحكام كونه ملكا كمال الرحمة، والدليل عليه آيات: إحداها: ما ذكر في هذه السورة(٢) من كونه ربا رحمانا رحيما وثانيها: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ثم قال بعده﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ﴾: ثم ذكر بعده كونه قدوسا عن الظلم والجور، ثم ذكر بعده كونه سلاما، وهو الذي سلم عباده من ظلمه وجوره، ثم ذكر بعده كونه مؤمنا، وهو الذي يؤمن عبيده عن جوره وظلمه، فثبت أن كونه ملكا لا يتم إلا مع كمال الرحمة"(٣) فتمام الملك يجعله – سبحانه – أليق بمقام الاعتصام به والالتجاء الذي يستلزم كونه مستعاذا به.

كذلك مما تقتضيه الفاصلة في لفظ "ملك" كمال الانقياد والطاعة الذي يتوقف عليه صلاح أمر العباد باتباعهم لملكهم كما قال الرازي: "الحكم الرابع: للملك أنه يجب على الرعية طاعته فإن خالفوه ولم يطيعوه وقع الهرج والمرج في العالم وحصل الاضطراب والتشويش ودعا ذلك إلى تخريب العالم وفناء الخلق، فلما شاهدتم أن مخالفة الملك المجازي تفضي آخر الأمر إلى تخريب العالم وفناء الخلق فانظروا إلى مخالفة ملك الملوك

---

(١) مفاتيح الغيب (١/ ٢٠٦).

(٢) يقصد سورة الفاتحة في قوله – تعالى: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾.

(٣) مفاتيح الغيب (١/ ٢٠٦).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كيف يكون تأثيرها في زوال المصالح وحصول المفاسد؟ وتمام تقريره أنه تعالى بين أن الكفر سبب لخراب العالم، قال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾[١] وبين أن طاعته سبب للمصالح قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[٢] فيا أيها الرعية كونوا مطيعين لملوككم، ويا أيها الملوك كونوا مطيعين لملك الملوك حتى تنتظم مصالح العالم"[٣] ، فأفاد بذلك أن وجوب الانقياد والطاعة لأمر الملك سبحانه يحصل معه صلاح أمر العباد وإعمار الأرض، وانتفاء الإفساد فيها، ولما كان أعمال السحرة وأرباب الشياطين من التفرقة بين المرء وزوجه ينشر البغضاء والعداوة بين الناس، كذلك ما يفعله شياطين الأنس والجن من نفخ ووسوسة في صدور الناس بما يترتب عليه من هذه العداوة وتلك البغضاء ينشر الفساد في الأرض ويكثر معه الهرج وغيره من أمور الإفساد كان الالتجاء والاعتصام بالملك – سبحانه – والانقياد لأمره وطاعته حصنا مانعا من هذا الإفساد، فتحقق بذلك ما تقتضيه تلك الفاصلة في قوله تعالى : "مَلِكِ ٱلنَّاسِ" من استلزام كونه سبحانه وتعالى مستعاذا منه.

وفي إضافة لفظ الملك للناس دليل على انفراده – سبحانه وتعالى – بكونه الملجأ والملاذ للاعتصام به من دون الناس الذين يُعتقد فيهم القدرة على شيء، وتصريف أمر أو غيره؛ فتتعلق محبة الناس بهم وخشيتهم لهم

(١) سورة: مريم آية: ٩٠، ٩١.
(٢) سورة: طه آية: ١٣٢.
(٣) مفاتيح الغيب (١/ ٢٠٦).

كذلك حتى تصل تلك المحبة وهذه الخشية إلى اتخاذهم أندادا من دون الله قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[1] ، ويترتب على اتخاذهم أندادا من دون الله التقرب إليهم والانقياد والطاعة من دون الله، وهؤلاء الأنداد لا يتعدون كونهم ناس كبقية الناس يجري عليهم ما يجري على باقي الناس من أمر الله في خلقه، فأعلم – سبحانه – خلقه بأنه رب من يعظمونهم ففي إضافة لفظ الملك إلى الناس قد "خص الناس بالذكر وهو تعالى جل ذكره رب جميع الخلق وملِكُهم، لأن بعض الناس كان يُعَظِّم بعض الناس تعظيم المؤمنين ربهم، فأَعْلَمَهُم الله أنه رب من يعظمونه وملكهم يجري عليهم سلطانه وقدرته"[2] وهذا يجعله أحق بالاعتصام والالتجاء من غيره، مما يحقق كمال استلزم كونه – سبحانه وتعالى – مستعاذا به في التدرج من العموم إلى الخصوص من قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ حتى ينتهى هذا الخصوص بما يكمل استلزام كونه تعالى مستعاذا به وهو:

---

(١) سورة: البقرة آية: ١٦٥.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي ت: ٤٣٧هـ – تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي – الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الشارقة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م (١٢/ ٨٥١٣).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كمال التضرع والقربي.

وهذه المعنى هو ما تقتضيه الفاصلة في قوله تعالى : "إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ" وهذه الفاصلة تحكم علاقة العبد بربه وملكه في الآيتين الساقبتين في علاقة العموم والخصوص إذ هي أخص الثلاثة يما يستلزم كونه – سبحانه وتعالى – مستعاذا به؛ لكونها بمثابة توجيه وكشف للعبد كيف تكون علاقته بربه وملك أمره، وذلك لا يخرج عن كون ا ٥ ٥ ٧٧-٠-٥لرب العلي – سبحانه وتعالى – المتفرد بالعبودية لانفراده بالألوهية؛ فإذا كانت الربوبية تقتضي المنحة من المولى – سبحانه وتعالى – لخلقة بالتربية والتلطف، كذلك كونه ملكهم يقتضي سلطانه القاهر ونفاذ أمره عليهم، فإن ألوهيته تقضي تحقيق العبودية بالتضرع له – سبحانه وتعالى – تقربا وتضرعا وتذللا منهم، ومن هنا كانت هذه الفاصلة أخص الثلاثة لكونها تظهر بطريق الحقيقة والمطابقة – فيما أعلم – حق الله على عباده، بخلاف الفاصلتين السابقتين اللتين تظهران بذلك الطريق – فيما أعلم – حق العباد على الله – سبحانه وتعالى – في صلاح أمرهم كما تظهران بطريق التضمين حقه – سبحانه – عليهم بوصفه ربهم وملكهم، فنظم الآيات الثلاث بهذه العلاقة – العموم والخصوص في استلزام كونه تعالى مستعاذ به – تحكم صلة العبد وعلاقته بربه ومن ثم "قدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب على حد سواء، فلا فعل لأحد إلا وهو خلقه سبحانه وتعالى وهو الباعث عليه، وأخر الإلهية لخصوصها لأن من لم يتقيد بأوامره ونواهيه فقد أخرج نفسه من أن يجعله إلهه وإن كان في الحقيقة لا إله سواه، ووسط صفة الملك لأن الملك هو المتصرف بالأمر والنهي، وملكه لهم تابع لخلقه إياهم فملكه من كمال

ربوبيته، وكونه إلههم الحق من كمال ملكه، فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه، وملكه يستلزم إلهيته وتقتضيها"(١).

وقد تأتي الخصوصية من وجه آخر وذلك من خلال كون الإله هو الجامع لصفات الكمال والجلال ولهذا استحق العبودية وانفرد بها دون سواه، فلفظ الرب متحقق بعموم إنعامه، ولفظ الملك بسلطان قهره وقدرته "أمّا الإله فهو الجامع لجميع صفات الكمال، ونعوت الجلال فيدخل فيه جميع الأسماء الحسنى، ولتضمنها لجميع معاني الأسماء الحسنى كان المستعيذ جديراً بأن يعاذ، وقد يوقع ترتيبها على الوجه الأكمل الدال على الوحدانية لأنّ من رأى ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة علم أنّ له مربياً، فإذا درج في العروج في درج معارفه سبحانه علم أنه غني عن الكل والكل إليه محتاج، وعن أمره تعالى تجري أمورهم فيعلم أنه ملكهم، ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد إبداعهم أنه المستحق للإلهية بلا مشارك له فيها"(٢).

ومن هنا تقتضي هذه الفاصلة في قوله – تعالى – " إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ " من المعاني ما يكمل به وجه معنى استلزام كونه مستعاذا به، وحقيقا بالاعتصام والالتجاء منفردا ومجردا من الشريك في ذلك الأمر؛ فكمال التضرع والقربى المستفاد من معانى الألوهية والتي تقتضي إفراد العلي – سبحانه وتعالى – بالعبوديه وتنزيهه عن الشرك خفيه وجليه، ومن هنا تقتضي هذه الفاصلة كمال الإخلاص في العبودية لله – سبحانه وتعالى – والتي توجب نفي الشرك

---

(١) نظم الدرر (٤٢٨/٢٢).

(٢) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين، الخطيب الشربيني ت: ٩٧٧هـ – الناشر: مطبعة ، القاهرة : ١٢٨٥ هـ (٤/ ٦١٥).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مع الله "فحقيقة الإخلاص: التبري عن كل ما دون الله تعالى"[١] ، فتوجيه الاستعاذة لله – سبحانه – في دفع الشرور الظاهرة والباطنة يتطلب إخلاصا من العبد في نفي اعتقاده أن هناك من يدفع ذلك الشر عنه غير الله – سبحانه وتعالى – فكمال القربي من الله يستوجب هذا الإخلاص ، وإلا كيف يرجو العبد القربى من الله وقلبه متعلق بغيره في عبادته وأعماله، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[٢] فعبادته – سبحانه – تستوجب الامتثال والثبات حيث "العبادة امتثال أمر الله تعالى كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنه آمر، مع المبادرة بغاية الحب والخضوع والتعظيم، وذلك مع الاقتصاد لئلا يمل الإنسان فيخل أو يحصل له الإعجاب فتفسد عبادته"[٣] والثبات غاية الثبات يكون بإخلاص الدين لله – سبحانه – "بحيث لا يكون فيه شوب شيء مما يكدره من شرك جلي ولا خفي"[٤] كما يتحقق الإخلاص بنسيان الخلق في الأعمال، وعدم العجب من مطالعة النفس، فهو يعبد الله من رؤية للعمل، يعبد الله حياء وقربى، يعبد الله خوفا وخشية، يعبد الله وليس كل همه الحصول على ثواب عمله بقدر حرصه على رضا ربه؛ وذلك لكون "حقيقة الإخلاص بأنه إفراد الحق في الطاعة بالقصد مع نسيان الخلق في الأعمال والتوصل إليه بالتوقي من ملاحظتهم مع التنقي عن مطالعة النفس برؤية العبد نفسه عبدا مأمورا لا يريد ثوابا، جاعلا كل شيء وسيلة إلى الله،

---

(١) المفردات ص ٢٣٩.
(٢) سورة: البينة آية: ٥.
(٣) نظم الدرر (١٩٢/٢٢).
(٤) نفسه (١٩٣/٢٢).

وعلامته عدم رؤية العمل، ويعرف ذلك بالخوف وعدم الالتفات إلى طلب الثواب، وبالحياء منه"[١].

كذلك مما تقضيه الفاصلة من معاني الإخلاص تعلق نجاتهم به في الدنيا، لأنه لما كان مدار قبول العمل في الآخرة على الإخلاص بنفي الشرك عن المولى – سبحانه – في توجيه جميع الأعمال خالصة له – سبحانه – كانت النجاة مما يحيق بالعبد في الدنيا من شرور متوقفة على هذا الإخلاص، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[٢] فأصحاب الفلك وإن نكصوا كافرين بعد إخلاصهم إلا أنه كان سبب نجاتهم، وعلمهم يقينا أنهم لا ينجيهم إلا المولى – سبحانه وتعالى – فكان إذا وقع عليهم هول توجهوا له مخلصين "وهذا انتقال إلى إلزامهم بما يقتضيه دعاؤهم حين لا يشركون فيه إلها آخر مع الله بعد إلزامهم بموجبات اعترافاتهم فإنهم يدعون أصنامهم في شؤون من أحوالهم ويستنصرونهم ولكنهم إذا أصابهم هول توجهوا بتضرعهم إلى الله"[٣] ومنه كذلك قوله: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾[٤] وهذا دليل على أن جميع الناس معترفون بأن لا ينجيهم ولا يدفع عنهم شرور ما هم فيه إلى إلههم ومعبودهم الأوحد – جل جلاله – ولهذا يتوجهون بالدعاء مخلصين إليه فهذا دليل على "أن الكل معترفون به غير

(١) نفسه (١٩٣/٢٢).
(٢) سورة: العنكبوت آية: ٦٥.
(٣) التحرير والتنوير (٣٢/٢١).
(٤) سورة: لقمان آية: ٣٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أن البصير يدركه أولا ومن في بصره ضعف لا يدركه أولا، فإذا غشيه موج ووقع في شدة اعترف بأن الكل من الله ودعاه مخلصا أي يترك كل من عداه وينسى جميع من سواه، فإذا نجاه من تلك الشدة قد بقي على تلك الحالة"(١) ومن هنا كان اقتضاء خصوص الألوهية في قوله تعالى: "إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ" بما أفادته من معاني كمال الاخلاص مستلزما كونه تعالى مستعاذا به.

وكما يقتضي كمال القربي إخلاص العبادة لله – سبحانه وتعالى – كذلك يقتضي كمال التضرع إليه – سبحانه – والخضوع والتذلل له ولهذا إذا كان الدعاء من العبد مقرونا بهذا التذلل المظهر لفقره إلى ربه وخالقه، وحاجته إليه في جميع شئونه كان أقرب للإجابة، كما ينبئ تضرعه وتذلله لمعبوده ومولاه كمالَ عجزه في حضرة المولى – سبحانه وتعالى – ومن هذا الدعاء المقرون بالتضرع قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾(٢) فإذا كان التضرع في مقابل خفية بمعنى الإظهار، فكذلك من حقيقته الخشوع والخضوع والتذلل فقوله: "تَضَرُّعًا" في الآية الكريمة "أي مظهرين الضراعة، وهي شدة الفقر، وحقيقته الخشوع وقوله: خفية أي تخفون في أنفسكم مثل ما تظهرون؛ قال شمر: يقال: ضرع له وهو ضارع بين الضراعة، وهؤلاء قوم ضرع، أي أذلاء، وهم ضرعة أي متضرعون، والتضرع إلى الله: التخشع إليه والتذلل"(٣).

(١) مفاتيح الغيب (١٣٢/٢٥).
(٢) سورة الأعراف آية: ٥٥.
(٣) نظم الدرر (١٤٢/٧).

وخضوع العبد لربه وإظهار عجزه وحاجته وفقره حال عبادته ودعائه من تحقيق مقاصد الألوهية التي ينفرد بها الرب العلي – سبحانه – موصوفا بكمال العلم والقدرة والرحمة فكان "المقصود من الدعاء أن يصير العبد مشاهدا لحاجة نفسه، ولعجز نفسه، ومشاهدا لكون مولاه موصوفا بكمال العلم والقدرة والرحمة، فكل هذه المعاني دخلت تحت قوله: ادعوا ربكم تضرعا ثم إذا حصلت هذه الأحوال على سبيل الخلوص، فلا بد من صونها عن الرياء المبطل لحقيقة الإخلاص، وهو المراد من قوله تعالى: وخفية والمقصود من ذكر التضرع تحقيق الحالة الأصلية المطلوبة من الدعاء والمقصود من ذكر الإخفاء صون ذلك الإخلاص عن شوائب الرياء، وإذا عرفت هذا المعنى ظهر لك أن قوله – سبحانه – تضرعا وخفية مشتمل على كل ما يراد تحقيقه وتحصيله في شرائط الدعاء"(١)، ولهذا لا ملجأ للإنسان حال شدته وتعرضه لما يخشاه إلا إلى الله – سبحانه – مظهرا ضعفه وعجزه تضرعا وتذللا حتى وإن كان منغمسا في شركه إلا أنه في حالة كونه تذللا يحقق معنى العبودية في خشوعهوتضرعه؛ فيرفع الله عنه بلاءه ويفرج كربه ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(٢) فكان "اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان إلا إلى الله تعالى، وهذا الرجوع يحصل ظاهرا وباطنا، لأن الإنسان في هذه الحالة يعظم إخلاصه في حضرة الله تعالى، وينقطع رجاؤه عن كل ما سوى الله تعالى"(٣)؛ فإذا كان

(١) مفاتيح الغيب (٢٨٠/١٤).
(٢) سورة: الأنعام آية: ٦٣.
(٣) مفاتيح الغيب (١٩/١٣).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مما تقضيه الفاصلة في قوله تعالى: " إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ " إفراده بالعبودية في توجيه الأعمال والدعاء إليه من الناس جميعا فهذا يحقق كونه تعالى المتفرد بأحقيته في استلزام كونه – تعالى – مستعاذا به.

وهذا الاستلزام مستفاد من تدرج العلاقة من العموم إلى الخصوص في الآيات الثلاث في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾، إلى جانب ما تقتضيه كل فاصلة على حدة في حالة الوقف، فما ذكر من المعاني التي تقتضيها الفاصلة في هذا البحث قليل إلى جانب ما تقتضيه معاني الربوبية، والملك، والألوهية؛ فهذا تعجز عن استيفائه الأقلام، وعلى ذلك اندرجت تحت هذه الاستعاذة جميع الاستعاذات التي تشملها معاني الربوبية، والملك والألوهية؛ ويدل على ذلك إعادته لفظ الناس مظهرا في كل مرة دون ضميره " لأن الضمير إذا أعيد كان المراد به عين ما عاد إليه، فأشير بالإظهار إلى أن كل صفة منها عامة غير مقيدة بشيء أصلا، واندرج في هذه الاستعاذة جميع وجوه الاستعاذات من جميع وجوه التربية وجميع الوجوه المنسوبة إلى المستعيذ من جهة أنه في قهر الملك بالضم، وجميع الوجوه المنسوبة إلى الإلهية لئلا يقع خلل في وجه من تلك الوجوه تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات إشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها، ولم يعطف بالواو لما فيها من الإيذان بالمغايرة"[(١)]؛ فالتكرار هنا جاء لمزيد بيان "لأن عطف البيان يحتاج إلى مزيد الإظهار، ولأن هذا التكرير يقتضي مزيد شرف الناس"[(٢)] وهذا يجعل ما يفيده لفظ الناس في كل آية مختلفا عن الأخرى؛ ففرق بين ناس ينعمون في ظل تربية وصلاح ربهم، وناس

(١) نظم الدرر (٤٢٨/٢٢).
(٢) مفاتيح الغيب (٣٧٧/٣٢).

مزجورون بسلطان ملكهم، وناس يتلذذون بالحب والقربى لإلههم، فمن حقق الألوهية من الناس جمع بين أطراف الشرف كله من ربوبية وملك، بخلاف كل صنف من صنفي الناس السابقين في الآيتين وذلك لأن "الإله من ظهر بلطيف صنائعه التي أفادها مفهوم الرب والملك في قلوب العباد فأحبوه واستأنسوا به ولجؤوا إليه في جميع أمورهم، وبطن احتجابا بكبريائه عن أن يحاط به أو بصفة من صفاته أو شيء من أمره، فهابته العباد ودعاهم الحب إلى الوله شوقا إلى لقائه، وزجرتهم الهيبة فجزعوا خوفا من طرده لهم عن فنائه، وكرر الاسم الظاهر دون أن يضمر فيقول مثلا: "ملكهم" "إلههم" تحقيقا لهذا المعنى وتقوية له بإعادة اسمهم الدال على شدة الاضطراب المقتضي للحاجة عند كل اسم من أسمائه الدال على الكمال المقتضي للغنى المطلق، ودلالة على أنه حقيق بالإعادة قادر عليها لبيان أنه المتصرف فيهم من جميع الجهات وبيانا لشرف الإنسان ومزيد الاعتماد بمزيد البيان"[(١)]، أما الصفات الثلاث فهي متحققة على ذات واحدة؛ فالاستعاذة تقع بمجموعها حيث "المقصود الاستعاذة بمجموع هذه الصفات الواقعة على ذات واحدة حتى كأنها صفة واحدة، وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب على حد سواء، فلا فعل لأحد إلا وهو خلقه – سبحانه وتعالى – وهو الباعث عليه، وأخر الإلهية لخصوصها لأن من لم يتقيد بأوامره ونواهيه فقد أخرج نفسه من أن يجعله إلهه وإن كان في الحقيقة لا إله سواه، ووسط صفة الملك لأن الملك هو المتصرف بالأمر والنهي، وملكه لهم تابع لخلقه إياهم فملكه من كمال ربوبيته، وكونه إلههم الحق من كمال

(١) نظم الدرر (٢٢/٤٢٧).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ملكه، فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه، وملكه يستلزم إلهيته وتقتضيها"[١] ، وعلى ذلك كان تجاذب علاقة العموم والخصوص استكمالا لاستلزام المعاني لكونه – سبحانه – مستعاذا به ، وذلك في كل ما يُستعاذ منه.

(١) نفسه (٢٢/٤٢٨).

المبحث الثاني:

تجاذب العلاقة بين الإجمال والتفصيل وما يستلزم كونه مستعاذا منه، وبين ما تقتضيه الفاصلة من:

- كمال الحذر من جنسه.
- كمال الحذر من فعله.
- كمال الحذر لتعدد جهته.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

توطئة

سبق الحديث عن كون العلاقة التي تربط الآيات الثلاث الأخيرة في سورة الناس في قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ هي علاقة الإجمال والتفصيل لكون رأس العلاقة في قوله تعالى: " مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ " رأس المعنى المجمل في الآيات الثلاث؛ حيث يجمع بين جنس الموسوس وكل ما يصدر منه، وجميع الجهات التي يتأتى منها، وهذا المعنى الذي تفيده هذه الآيات الثلاث هو: استلزام كونه مستعاذا منه؛ وذلك لتعلق جميع الشرور بهذا الاستلزام؛ لكون الشر إذا صدر مما يملك التأثير في داخل الإنسان فيغير توجهاته ونمط حياته بما يأتي عليه بالوبال والخزي؛ فيكون الأنسان أودي بنفسه إلى الهلاك، وهو بعد ذلك يحمل الشر في نفسه وصدره، ولا يزال هذا الشر يربو وينضج ويستوي؛ فيخرج ويبيض ويفرخ حتى يدمر كل ما يصيبه، وكل هذا الشر منشئه وجهته يمثل بعض الثقلين من الجن والأنس، وهذا على العموم فكما يوسوس الجن للأنس، كذلك يوسوس الأنس للأنس ، والجن للجن، وكل هذا يحتمله المعنى بما يحمل من إحسانه وثرائه؛ فالآيات الثلاث بما تحمل من علاقة الإجمال والتفصيل في بيان استلزام كونه مستعاذا منه تقتضي كل فاصلة منها كثيرا من المعاني التي تتجاذب مع المعنى الكلي للآيات الثلاث داخل هذه العلاقة، كذلك تتجاذب مع المعنى العام للسورة الكريمة والذي يفيد الاعتصام والالتجاء بالحق – سبحانه – من كل شر خفي؛ وكان المعنى الذي تقتضيه الفاصلة الأولى هو:

كمال الحذر من جنسه.

إذا كان المعنى الذي يمثله الثلاث آيات الأخيرة في السورة الكريمة هو استلزام كونه مستعاذا منه فهذا يدل على كمال الحذر منه، ولكن هذا الحذر له مواطن متعددة يمثلها كل مقتضى في هذه الآيات، فكان مقتضى الفاصلة الأولى هو كمال الحذر من جنس الموسوس بالشر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ ، وذلك ليجمع بين كل من ينفث الشر ويهمس به، وبين فعل الوسوسة ذاتها، وبين كل موسوس كان من الجن أو الإنس، وبين كل ما يؤدي إلى الشر من جراء هذه الوسوسة؛ فكل صاحب خاطر شرير يوقع في نفس غيره من الشرور ما يضره يسمى موسوسا، كذلك كل من يتكلم كلاما خفيا من الشياطين، والناس، وذلك مستفاد من معنى الجنس في تعريف قوله: "ٱلْوَسْوَاسِ" حيث "التعريف في الوسواس تعريف الجنس وإطلاق الوسواس على معنييه المجازي والحقيقي يشمل الشياطين التي تلقي في أنفس الناس الخواطر الشريرة، قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [(١)]، ويشمل الوسواس كل من يتكلم كلاما خفيا من الناس وهم أصحاب المكائد والمؤامرات المقصود منها إلحاق الأذى من اغتيال نفوس أو سرقة أموال أو إغراء بالضلال والإعراض عن الهدى، لأن شأن مذاكرة هؤلاء بعضهم مع بعض أن تكون سرا لئلا يطلع عليها من يريدون الإيقاع به، وهم الذين يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم الدوائر ويغرون الناس بأذيته"[(٢)]، ومعنى الجنس في هذه الفاصلة "ٱلْوَسْوَاسِ" كما يشمل كل من

(١) سورة: الأعراف آية: ٢٠.
(٢) التحرير والتنوير (٦٣٣/٣٠).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يتأتى منه وسوسه، كذلك يشمل كل فعل وسوسة حيث لفظ الوسواس اسم بمعنى الوسوسة وهو يشمل كل كلام خفي متكرر؛ فيجمع بذلك بين الهمس والتكرار بين إلقاء المعاني في القلب وتأكيدها وهذا مدعاة للقبول وهذا مستفاد من لفظ الوسواس كما قال البقاعي – رحمه الله – "هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، والمراد بالموسوس، سمي بفعله مبالغة لأنه صفته التي هو غاية الضراوة عليها كما بولغ في العادل بتسميته بالعدل، والوسوسة الكلام الخفي: إلقاء المعاني إلى القلب في خفاء وتكرير، كما أن الكلمة الدالة عليها "وس" مكررة، وأصلها صوت الحلي، وحديث النفس، وهمس الكلاب، ضوعف لفظه مناسبة لمعناه لأن الموسوس يكرر ما ينفثه في القلب ويؤكده في خفاء ليقبل، ومصدره بالكسر كالزلزال كما قال تعالى:﴿ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [(١)] وكل مضاعف من الزلزلة والرضرضة معناه متكرر، والموسوس من الجن يجري من ابن آدم مجرى الدم[(٢)] – كما في الصحيح، فهو يوسوس بالذنب سرا ليكون أجلى، ولا يزال يزينه ويثير الشهوة الداعية إليه حتى يواقعه الإنسان، فإذا واقعه وسوس لغيره أن فلانا فعل كذا حتى يفضحه بذلك، فإذا افتضح ازداد جرأة على أمثال ذلك لأنه يقول: قد وقع ما كنت أحذره من القالة، فلا يكون شيء غير الذي كان، وشره التحبيب إلى الإنسان بما يميل إليه طبعه حتى يشاكله في رذيلة الطبع وظلمة النفس، فينشأ من ذلك شرور لازمة ومتعدية أضرها الكبر والإعجاب اللذان أهلكا الشيطان، فيوقع الإنسان بها فيما أوقع نفسه فيه، وينشأ من

(١) سورة: الأحزاب آية: ١١.

(٢) الحديث متفق عليه من حديث علي بن الحسين عن صفية بنت حيي "الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (٢٥٩/٤)".

الكبر الحقد والحسد يترشح منه بطر الحق – وهو عدم قبوله، ومنه الكفر والفسوق والعصيان، وغمص الناس – وهو احتقارهم المعلوم من قول الشيطان"[(١)]، وهذا كله يستلزم كونه مستعاذا منه؛ لما في فعله من الضرر اللاحق للموسوس إليه، مع تعدي هذا الضرر إلى الغير، فيورد الجميع المهالك، ومن هنا اقتصت الفاصلة القرآنية بيان الدواء اللازم لهذا الداء، مع بيان كيفية العلاج وذلك في قوله – تعالى: "ٱلۡخَنَّاسِ" وهو " الذي عادته أن يخنس أي يتوارى ويتأخر ويختفي بعد ظهوره مرة بعد مرة، كلما كان الذكر خنس، وكلما بطل عاد إلى وسواسه، فالذكر له كالمقامع التي تقمع المفسد، فهو شديد النفور منه"[(٢)] فصفة الخنس لازمة له وعادة مع كل ذكر لله.

وهذا إذا كان يدل على ضعفه وهوانه مقابل ذكر الله – سبحانه وتعالى – وذلك مع شدة شره، وفعله بهذه الوسوسة التي توقع الشر والبغضاء بين الناس، وبما تفعله أيضا من تدمير لمن تقع الوسوسة في صدره بما يحصله من ذلك من كبر وحقد وحسد تصل إلى بطر الحق وغمص الناس، وهذا يدل على كون الذكر مع سهولته على اللسان لمن وفقه الله – سبحانه وتعالى – لذلك إلا أنه أفضل ما يتحصن به المرء من كل شر، فبه كانت التقوى والقربى من الله والبعد عن هذه الوساوس قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾[(٣)]، فكما كانت عادة المتقين إذا شعروا بنزغ

(١) نظم الدرر (٤٣١/٢٢ وما بعدها).
(٢) نفسه (٤٣٢/٢٢ وما بعدها).
(٣) سورة: الأعراف آية: ٢٠٠– ٢٠١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الشيطان ووسوسته تذكروا واستعاذوا بالله – جل وعلا – منه؛ فرجعوا بذلك إلى معية الحق – سبحانه – بعد وسوسة الشيطان لهم = كانت أيضا عادة الشيطان إذا سمع ذكر الله – جل وعلا – خنس ودحض شره عن الذي يوسوس إليه؛ وبذلك يخرج العبد من اتباع الشيطان في وسوسته بهذا الذكر، وهذه الوسوسة هي معية الشيطان، والداخل فيها داخل في حزبه حتى يصير من جنده في نشر الشر بين الخلق بما يزرع الشيطان في صدره من الوساوس والشرور، ولا ملجأ ولا منجى من هذا سوى الدخول في معية الله – سبحانه – وحصنه بالذكر والاستعاذة، وكما يشمل ذكر الله التلفظ بالاستعاذة من نزغ الشيطان يشمل أيضا ذكر أوامره ونواهيه حتى يبصر العبد السداد والحق، فكان المعنى في هذه الآية "تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان، وأنّ المتقين هذه عادتهم: إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان وإلمام بوسوسته تَذَكَّرُوا ما أمر الله به ونهى عنه، فأبصروا السداد ودفعوا ما وسوس به إليهم ولم يتبعوه أنفسهم"(١).

كذلك مما تقتضيه هذه الفاصلة في لفظ: "ٱلۡخَنَّاسِ" من كمال الحذر من جنسه، وذلك من إحسان النظم الشريف هو عدم اقتصار الخناس على شيطان الجن فهناك من شياطين الأنس من هو أشد خطرا في وسوسته من شيطان الجن، وذلك إما لطول صحبة أو شدة قربة أو بلاغة لسان وحلاوة منطق؛ فيقع في صدر السامع له موقعا أشد من وسوسة الشيطان قال – تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾(٢) فعلى ذلك أفاد

(١) الكشاف (١٩١/٢).
(٢) سورة: الأنعام آية: ١١٢.

التعريف في قوله "ٱلۡخَنَّاسِ" الجنس ليشمل كل من يرده ذكر الله، أو يرده ما أمر الله به، وما نهى عنه مما يقيم حياة الناس ويدفع عنهم الشرور، وعلى ذلك الكل من أصحاب الشرور يوسوسون "يوسوس شياطين الجنّ إلى شياطين الإنس، وكذلك بعض الجنّ إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض؛ وعن مالك ابن دينار: إنّ شيطان الإنس أشد علىّ من شيطان الجنّ، لأنى إذا تعوّذت بالله ذهب شيطان الجنّ عنى، وشيطان الإنس يجيئني فيجرّني إلى المعاصي عيانا زُخْرُفَ الْقَوْلِ ما يزينه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصي ويموّهه غُرُوراً خدعا وأخذاً على غرّة"[١]؛ فكان في ذكر الله اعتصاما والتجاء لما أمر به، وبعدا لما نهى عنه دفعا لوسوسة هذا الخناس أيا كان أنسا أو جنا، والخناس الجني أمره معلوم في هذا؛ فهو لا يقوى على الوسوسة مع الذكر، فسرعان ما يدحضه الذكر؛ فيصغر أمامه، أما خناس الإنس فبما يلحقه من الخزي والخذلان والصغار إذا قوبل فعله وقوله، بما أمر الله وما نهى عنه من الطاعات، وما به صلاح الناس؛ فيصغر بذلك في عين نفسه وعين غيره؛ فيخنس لهذا الذكر، وهذا القدر من الفعل الذي يلحق كل من يخنس عند الذكر جامع مشترك بين الأنس والجن، كذلك في إصراره على الشر بالتحيل والخفاء والخافت من القول، وعلى ذلك "الشيطان يلقب بالخناس لأنه يتصل بعقل الإنسان وعزمه من غير شعور منه فكأنه خنس فيه، وأهل المكر والكيد والتختل خناسون لأنهم يتحينون غفلات الناس ويتسترون بأنواع الحيل لكيلا يشعر الناس بهم"[٢].

(١) الكشاف (٢/٥٩).
(٢) التحرير والتنوير (٣٠/٦٣٤).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فمما يقتضيه معنى الجنس أيضا في لفظ: "ٱلۡخَنَّاسِ" نفس صاحب الوسوسة؛ فنفس الإنسان تكون أمارة بالسوء؛ فإذا ذكرها بالله أوامره ونواهيه رجعت وارتدعت فالمولى – سبحانه – وتعالى قال بعد هذه الآية السابقة: ﴿ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴾ فابتعاد الأفئدة عن الإيمان بالآخرة التي هي عين الغيب، ومحل الثواب والعقاب على ما اقترفه المرء في حياته يجعلها تميل إلى زخرف القول من الجن والأنس، وتغتر كذلك بما تحدثه النفس من الحرص والكبر والحسد وبطر الحق، وكل ذلك يوقع الشرور والمفاسد بين الناس، وهذا كله لا يدفعه إلا ذكرا خالصا لله يقينا من الذاكر بأنه ربه ومليكه وإلهه، وإليه الملجأ وبه الاعتصام، وهو أحق بأنه يكون مستعاذا به من هذا الشر كله، وتلك الوسوسه التي تقتضي كمال الحذر من جنسها بما تدخل فيه من استلزام كونها مستعاذا منها.

كمال الحذر من فعله

وكما دخل اقتضاء الفاصلة كمال الحذر من جنسه في استلزام كونه مستعاذا منه، كذلك يدخل ما تقتضيه الفاصلة التالة من كمال الحذر من فعله في هذا الاستلزام حيث يترتب على هذا الفعل كل ما يصدر عن الموسوس، والموسوس له من شر، كذلك محل هذه الوسوسة وكيفيتها؛ فيتعلق بهذا الفعل ويندرج في سلكه كل شر ينتقل من الموسوس إلى الموسوس له، ثم انتقال كل شر من الموسوس له إلى غيره من الناس.

فمن إحسان النظم في هذه الآية مما تقتضيه الفاصلة على لاحب علاقة التفصيل بعد الإجمال في معنى استلزام كونه مستعاذا منه استحضار هذه الوسوسة في الذهن بما أفاه الفعل "يُوَسۡوِسُ" حيث قال: "الذي يوسوس في صدور الناس لتقريب تصوير الوسوسة كي يتقيها المرء إذا اعترته لخفائها"[1] ففي هذه التقريب وذلك الاستحضار بيان لهيئة الموسوس وشكله وكأنه متأهب دائما وواصل وسوسته بهذا الشر وكأنك تراه جاثما على صدر المرء يلقي له الشر مرة بعد مرة بما يجعل الموسوس له يشيع البغضاء والفحشاء ... وغيرها مما يوقعه الموسوس بين الناس من تلك الأمور المنهي عنها؛ كذلك مادة الوسوسة بما لها من تكرار حتى يقبل الموسوس له كلام الموسوس وهمسه فهو يؤكده بتكراره فكان هذا الفعل وهو "الوسوسة الكلام الخفي: إلقاء المعاني إلى القلب في خفاء وتكرير، كما أن الكلمة الدالة عليها «وس» مكررة، وأصلها صوت الحلي، وحديث النفس، وهمس الكلاب، ضوعف لفظه مناسبة لمعناه لأن الموسوس يكرر ما ينفثه

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٦٣٤).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

في القلب ويؤكده في خفاء ليقبل"[١] فمادة الفعل نفسها تدل على حرص الموسوس على قبول الموسوس له هذا الفعل ومراده منها فلا ينفك يلقي له ذلك حتى يحصل له المراد وهذا من اقتضاءات هذه الفاصلة التي تستلزم كون هذا الموسوس مما يستعاذ منه.

كذلك مما تقتضيه هذه الفاصلة من معنى كمال الحذر من فعله دلالته على التجدد والاستمرار في لفظ الفعل "يُوَسۡوِسُ" فهو إذا كان في تكرار فهو أيضا يدل على التجدد والاستمرار بما تحمله صيغة المضارعة من معاني، وهذا التجدد يحصل فيما يوسوس به ذلك الموسوس من أمور يلقيها للموسوس له، فهو إذا يئس من قبول الموسوس له من أمر عمد إلى تجديد وسوسته حتى يلقى القبول من الموسوس له؛ فهذا يدل على تنوع الشرور وكثرتها لدي هذا الموسوس حتى إذا نجا الموسوس له من شر ما يلقيه إليه الموسوس جدد له آخر وهكذا دواليك؛ فهو مستمر في وسوسته مجدد لها متنوع الشرور التي يلقيها، لا ييأس ولا يمل حتى يهلك الموسوس له بما يُلقى إليه من الشرور، وهذا يقتضي كمال الحذر من هذا الفعل بما يستلزم كونه مستعاذا منه.

كذلك تقتضي الفاصلة من المعاني مما له دخل في معنى كمال الحذر من فعله بيان محل هذه الوسوسة فيما يتعلق بكونها "فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ" حيث تعدى فعل الوسوسة بحرف الجر "في" دون غيره كإلى مثلا؛ لكونه أراد تمكن الوسوسة في صدر الموسوس له أشد تمكن، وذلك للدلالة على حرص الموسوس واجتهاده في بلوغه مراده من الضرر بالموسوس له بما يلقيه

(١) نظم الدرر (٢٢/٤٣٠).

إليه من الشر، كذلك من إحسان النظم الشريف فيما يتعلق بإيثار هذا الحرف دون غيره أن الموسوس لا يبلغ المكانة أن يوسوس في الصدر إلا إذا كان قريبا محلا من الموسوس له، وكأن الموسوس جاثم على صدر الموسوس له متلبث به حتى تنفذ وسوسته إلى داخل صدر الموسوس له، وهو بذلك يدل على اقتدار الموسوس على الموسوس له، وكأن صدر الموسوس له صار بيد الموسوس ينفث فيه كيف شاء ومتى شاء، وكأن صدر الموسوس له أصبح ليس ملكه، وخرج عن تصرفه وإرادته إلى إرادة الموسوس وتصرفه؛ فهو يحوله ويوجهه كيفما شاء؛ وهذا يقتضي من الموسوس له كمال الحذر من فعل الموسوس بما يستلزم أحقية كونه مستعاذا منه.

كذلك مما تقتضيه الفاصلة من معاني كمال الحذر من فعله بما يستلزم كونه مستعاذا منه فيما يتعلق ببيان محل الوسوسة كونه جعل الوسوسة في وعاء القلب دون القلب وهو الصدر؛ إما لكونه من باب المجاز المرسل لعلاقة المحلية من حيث ذكر الصدر الذي هو محل القلب وأراد القلب من حيث كونه الحال فيه، وذلك "لأن القلب في الصدر، فجاز إقامة الصدر مقام القلب"[١] وإما لأنه – فيما أعلم – وإن كان القلب به يتعلق صلاح البدن وفساده حسا ومعنى بوصفه المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله أو كما قال صلى الله عليه وسلم[٢] = فهذا الموسوس بما أوتى من تمكن وتسلط وقدرة على الوسوسة في صدر الموسوس له إلا أنه لا يستطيع أن ينفذ إلى القلب؛ فإن قُلُوبَ بني آدم بين إصبعين من أصابع

(١) مفاتيح الغيب (٨/ ١٩٥).

(٢) جزء من حديث للنبي صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه " الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم(١/ ٥٠٠).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الرحمن، كقلب واحد، يُصَرِّفُه حيث شاء ، وكان يقول الرسول الله – صلى الله عليه وسلم–: اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك[١]؛ فتثبيت القلوب على حالة واحدة خاص بالمولى – سبحانه وتعالى – أما ما يعتريها من شرور فهو متعلق بما يحوطها من وساوس وشرور، وهذا أدعى أن تزول تلك الوساوس بذكر الله فهي عوارض للقلب تتزاحم وتتراكم وتتمكن بترك الذكر، أما مع الذكر واستمراره فسرعان ما تزول، وفي حالة عدم وجودها مع استمرار الذكر والاستعاذة، يكون القلب في حصن منها بهذا الذكر؛ وإما أن ما يخص النفس فيما يتعلق بصلاح أحوالها في علاقتها بغيرها من بني جنسها محله الصدر وليس القلب؛ فالقلب مطية الروح، والصدر مطية النفس قال الرازي – رحمه الله – في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [٢] "لِمَ قال: وحصل ما في الصدور ولم يقل: وحصل ما في القلوب؟ الجواب: لأن القلب مطية الروح وهو بالطبع محب لمعرفة الله وخدمته، إنما المنازع في هذا الباب هو النفس ومحلها ما يقرب من الصدر، ولذلك قال: "يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ " وقال:﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾[٣] فجعل الصدر موضعا للإسلام"[٤]، وإما لكون صلاح القلوب يتأتى من خارجها وبما يحيط بها ويكتنفها قال تعالى:﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا

---

(١) الحديث رواه الأمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما "جامع الأصول في أحاديث الرسول لمجد الدين ابن الأثير ت: ٦٠٦هـ – تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون – الناشر: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان الطبعة : الأولى (٧/ ٥٣).

(٢) سورة العاديات آية: ١٠.

(٣) سورة: الزمر آية: ٢٢.

(٤) مفاتيح الغيب (٣٢/٢٦٤).

كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ (١)، وقال: ﴿ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢)؛ فهذا يدل على كون القلوب يحركها ما يحيط بها، فالصدور مساكن القلوب وأوعيتها وبيئاتها، تؤثر فيما يسكنها ويعيش فيها من القلوب ، وعلى ذلك "فإنها دهاليز القلوب منها تدخل الواردات إليها"(٣) فلما كانت الصدور دهاليز هذه القلوب كان غاية الموسوس وبما أوتي من مقدرة لا يستطيع أن ينفذ إلى القلب، وهذا دليل عجزه، فكان ما يلقيه في صدر الموسوس له أقرب للخلاص منه بالاستعاذة والذكر، وهذا يستلزم الاستعاذة خاصة إذا كانت الاستعاذة ممن هو أحق بها؛ لكونه – سبحانه – يملك أمر هذه القلوب، وكان ذلك أيضا دليل هوانه على الله، وفي هذه الحالة يقاس صلاح المرء وخلاصه من الشرر – فيما يتعلق بالوسوسة إليه – بحاله مع الاستعاذة والذكر، بمقدار دوامه يكون قربه من الله – سبحانه وتعالى – وبمقدار انقطاعه وبعده تكون هيمنة الوسواس عليه بما يلقيه إليه من الشرور، وهذا يستلزم كونه مستعاذا منه فيما تقتضيه هذه الفاصلة.

كذلك مما تقتضيه هذه الفاصلة من كمال الحذر من فعله فيما يستلزم كونه مستعاذا منه = كون هذا الفعل عام في الثقلين الجن والأنس، حيث لا يختص بوسوسة الشياطين في صدر الأنس فقط، بل يشمل وسوسة الجن للجن ووسوسة الأنس للأنس؛ وعلى ذلك كان بعض أقوال أهل العلم في بيان لفظ الناس من قوله تعالى: "ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ " وذلك إما لاشتراك لفظ انسان بين الجن والأنس، وإما لكون لفظ الناس بمعنى

---

(١) سورة: المطففين آية: ١٤.
(٢) سورة: النساء آية: ١٥٥.
(٣) نظم الدرر (٤٣٣/٢٢).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الناسي اسما منقوصا حذفت ياؤه في حالة الجر، وعلى ذلك لفظ الناس يدل على الثقلين لكون – كما قال الأمام الرازي – رحمه الله – : "القدر المشترك بين الجن والإنس، يسمى إنسانا والإنسان أيضا يسمى إنسانا فيكون لفظ الإنسان واقعا على الجنس والنوع بالاشتراك، والدليل على أن لفظ الإنسان يندرج فيه الجن والإنس ما روي أنه جاء نفر من الجن فقيل لهم: من أنتم فقالوا: أناس من الجن[١]، وأيضا قد سماهم الله رجالا في قوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [٢] فجاز أيضا أن يسميهم هاهنا ناسا، فمعنى الآية على هذا التقدير أن هذا الوسواس الخناس شديد الخنث لا يقتصر على إضلال الإنس بل يضل جنسه وهم الجن، فجدير أن يحذر العاقل شره، وهذا القول ضعيف، لأن جعل الإنسان اسما للجنس الذي يندرج فيه الجن والإنس بعيد من اللغة لأن الجن سموا جنا لاجتنابهم والإنسان إنسانا لظهوره من الإيناس وهو الإبصار، وقال صاحب الكشاف: من أراد تقرير هذا الوجه، فالأولى أن يقول: المراد من قوله: "يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ " أي في صدور الناسي كقوله:﴿ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ ﴾[٣] وإذا كان المراد من الناس الناسي، فحينئذ يمكن تقسيمه إلى الجن والإنس لأنهما هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى"[٤] وعلى كلى التقديرين في معنى

---

(١) جزء من حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري ومسلم من رواية عبدالله رضي الله عنه " المسند الجامع – حققه ورتبه وضبط نصه: محمود محمد خليل – الناشر: دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت – الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م (١٢/ ١٠٧).

(٢) سورة: الجن آية: ٦.

(٣) سورة القمر: آية ٦.

(٤) مفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٧٨).

لفظ "ٱلنَّاسِ" فهو يستلزم كونه مستعاذا منه، مع اقتضاء الفاصلة كمال الحذر من فعله؛ لتعلق هذه الوسوسة بكل من يلقي الشرور إلى غيره جنا كان أو أنسا، وأنه لا يسلم من ذلك إلا من حافظ على ذكره لله، مستعيذا به من فعل هذا الموسوس.

كذلك على معنى كون لفظ "ٱلنَّاسِ" الناسي لحق الله تعالى، وهذا يشمل جنس الناسي من الجن والأنس، وأنه لا منجاة لهما من هذه الوسوسة أيا كان من يفعلها إلا بذكر الله – سبحانه وتعالى – وهذا حث ودعوة إلى الالتجاء والاعتصام بالله ذكرا واستعاذة، لكون فعل ذلك الموسوس مما يستلزم كونه مستعاذا منه، بما تقتضيه هذه الفاصلة على لاحب علاقة التفصيل بعد الإجمال في هذه الآيات.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كمال الحذر لتعدد جهته

هذا المعني مما تقتضيه الفاصلة في قوله تعالى: "مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ " حيث وصل البيان إلى غاية التفصيل بعد الإجمال في رأس المعنى المتعلق باستلزام كونه مستعاذا منه بالرغم من كون هذه الفاصلة متعلقة بيانا بالفاصلة السابقة، إلا أنها تمثل بيان الجهات التي تأتي منها الوسوسة حتى يكون المرء – ممن تلزمه الاستعاذة – أشد حذرا إذا علم تعدد الجهات التي تأتي منها الوسوسة؛ وذلك لكون "من" في هذه الفاصلة بيانية لجنس الذي يوسوس باعتبار كونه لا يتعلق بالجن وحدهم، بل إن الذي يوسوس بالشر في صدور الناس كما يكون جنا يكون إنسا، وإن كان الأصل في الوسوسة هم الجن، وهذا بما فيه من حسن التقسيم حيث لا يخرج الموسوس عن هذين الصنفين، فلا ينفك من يوسوس بالشر أن يكون جنا أو إنسا، ومن إحسان النظم أيضا اشتراك الوسوسة بين الجن للجن والإنس للإنس والجن للإنس، فكان قوله – تعالى – : "مِنَ ٱلْجِنَّةِ" أي الجن الذين في غاية الشر والتمرد والخفاء "وَٱلنَّاسِ" أي أهل الاضطراب والذبذبة سواء كانوا من الإنس أو الجن، فيكون المعنى أن الجن مسلط بعضهم على بعض كما هم مسلطون على الإنس، فيدخل شيطان الجن في الجني كما يدخل في الإنسي ويوسوس له"[١]

وعلى ذلك كان البيان في حرف الجر " من في قوله: "مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ" بيانية بينت الذي يوسوس في صدور الناس بأنه جنس ينحل باعتبار إرادة حقيقته، ومجازه إلى صنفين: صنف من الجنة وهو أصله،

---

(١) (٢٢/٤٣٤).

وصنف من الناس وما هو إلا تبع وولي للصنف الأول، وجمع الله هذين الصنفين في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[١] ووجه الحاجة إلى هذا البيان خفاء ما ينجر من وسوسة نوع الإنسان، لأن الأمم اعتادوا أن يحذرهم المصلحون من وسوسة الشيطان، وربما لا يخطر بالبال أن من الوسواس ما هو شر من وسواس الشياطين، وهو وسوسة أهل نوعهم وهو أشد خطرا وهم بالتعوذ منهم أجدر، لأنهم منهم أقرب وهو عليهم أخطر، وأنهم في وسائل الضر أدخل وأقدر، ولا يستقيم أن يكون من بيانا للناس إذ لا يطلق اسم الناس على ما يشمل الجن ومن زعم ذلك فقد أبعد"[٢] ؛ فكان بيان كمال الحذر لتعدد جهات الموسوس فيما تقتضيه هذه الفاصلة مما يتعلق بكونه من الثقلين جميعا جنا وأنسا، وذلك مجاز في اللفظين على قول الشيخ الطاهر ابن عاشور في كلامه السابق، وهذا مما يتجاذب مع كونه يستلزم الاستعاذة منه.

كذلك مما تقضيه الفاصلة من كمال الحذر لتعدد جهته كون البيان في حرف الجر " من" متسلط على حقيقة اللفظين "ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ" وأصلهما في كونهما يدلان على معنى الخفاء والظهور "لأن الجن سموا جنا لاجتنانهم، والناس ناسا لظهورهم، من الإيناس وهو الإبصار، كما سموا بشرا"[٣]، وعلى هذا الاعتبار في تعلق بيان الوسوسة بمعنى الظهور والخفاء في تلك الوسوسة، وكيف من يوسوس بالشر يخفي هذا الشر أو

(١) سورة: الأنعام آية: ١١٢.
(٢) التحرير والتنوير (٣٠/٦٣٥).
(٣) الكشاف(٤/٨٢٤).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يظهره، فالموسوس يغري الموسوس له بكون ما يلقيه إليه من الشرور إنما هو خير له كما وسوس إبليس لآدم في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ (١) فكان في وسوسته يخفي الشر كله لآدم، وبالرغم من ذلك أغراه بهذه الوسوسة بكونها شجرة الخلد وملك لا يبلى؛ فكان مجتن بشره وراء هذه الوسوسة، وكان صنيع آدم – عليه السلام – واتباعه لهذه الوسوسة حسن ظن منه بأن هذا خيرا له، وعلى ذلك أكثر بني آدم في اتباعهم وسوسة الخفي عليهم من الشر؛ لكونهم في اتباعهم هذا يكونون في اعتقاد جازم أن ما يصنعونه خيرا لهم؛ لخفاء الشر وراء هذه الوسوسة واجتنانه عليهم، وهذا أدعى للاعتصام والالتجاء إلى الله أن يقيهم هذا الشر الخفي عليه، كذلك يستلزم كون هذا الموسوس مما يستعاذ منه فيما تقتضيه الفاصلة من كون معنى الجنة متعلقا بالستر والخفاء.

أما ما تقتضيه الفاصلة من علاقة التضاد بين "ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ" من كون معنى الناس متعلقا بالظهور والإيناس فهذا يدل على كون الشر ظاهرا واضحا من الموسوس للموسوس له؛ فهو يعلم ما فيه من الشر لوضوحه وبيانه، وهو إما لا يستطيع دفعه أو رده من تلقاء نفسه إلا بما عُلّم من الاستعاذة والذكر لله – سبحانه وتعالى – أو أن الموسوس له بالرغم من ظهور الشر لديه من قِبل الموسوس إلا أن هذا الموسوس الظاهر الشر لديه من القوة والسلطان ما يسيطر به على الموسوس له؛ فلا يستطيع الموسوس له الهروب من تلك القوة وهذا السلطان إلا بالالتجاء والاعتصام

(١) سورة: طه آية: ١٢٠.

إلى القادر العلي – جل جلاله – وعلى هذا البيان في هذه الفاصلة وما تقتضيه يستلزم كون هذا الموسوس مما يستعاذ منه، فيما تجاذبته علاقة التفصيل بعد الإجمال في هذا الاستلزام، والذي يتكامل معناه فيما تجاذبته علاقة العموم والخصوص في الآيات الثلاثة الأول في استلزام كونه – تعالى – مستعاذا به؛ وكل هذا منشق من رحم المعنى الأم للسورة الكريمة وهو: الاعتصام بالله من كل شر.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم به الصالحات، وبفضله تربو الصدقات وتزداد، وبكرمه يرفع عباده أعلى الدرجات ...وبعد

فقد أسفر البحث عن بعض النتائج الكلية أذكر منها ما يلي:ـ

- ترد السورة الكريمة على دعاة نحو النص بديلا عن نحو الجملة، لكونه أليق في فهم الكلام وتحليله، وأن نحو الجملة لا تتعدي وظيفته ضبط الكلام داخل الجمل الصغير، وأنه لا يعتمد عليه في اسكتناه الكلام. (١)
- كان لاقتضاء المعاني بناء العلاقة في الثلاث الآيات الأول على التدرج من العموم إلى الخصوص فيه مزيد عناية باتساع رحمة الله بعبادة جميعهم، وذلك إذا لجئوا إليه وتوجهوا إليه بالاستعاذة، ولهذا كانت رحمته – سبحانه – شاملة لجميع الناس، ممن يتخذه ملكا وربا، وإن كانت أخص في جانب من يتخذونه إلها، ومنه تكرر لفظ الناس كل مرة مع كل صفة لله – سبحانه وتعالى. (٢)
- كذلك كان لاقتضاء المعاني في فواصل الآيات الثلاث الأخيرة في السورة الكريمة في بنائها على علاقة التفصيل بعد الإجمال فضل عناية ببيان جهة الوسوسة، وذلك بما حصل لها من التمكن واللذة بالعلم بها بعد حالة التشوق لهذا العلم عن طريق الإجمال بداية، وهذا أدعي للقبول والامتثال لأمر الله – سبحانه وتعالى – في الاعتصام والالتجاء إليه في الاستعاذة ن كل شر. (٣)

---

(١) البحث ص ٧، ١٣.
(٢) نفسه ص٣٠.
(٣) نفسه ص ٤١.

فهرس المصادر والمراجع

- أسرار العربية لأبي البركات الأنباري ت: ٥٧٧هـ – الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم – الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م .
- الإتقان في علوم القرآن ت: ٩١١هـ – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .
- إعجاز القرآن للباقلاني ت: ٤٠٣هـ – تحقق: السيد أحمد صقر – الناشر: دار المعارف – مصر – الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م .
- الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم للدكتور/ محمود توفيق سعد – الناشر: مكتبة وهبة القاهرة، عابدين – الطبعة: بدون.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي ت: ٧٩٤ه – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركائه – الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م .
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري ت: ٦٥٤هـ – تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف – الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – الطبعة: بدون .
- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري لجمال الدين أبومحمد عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي ت: ٧٦٢هـ – تحقيق: عبدالله بن عبدالرحمن السعد – الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض – الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ .
- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب ت: بعد ١٣٩٠هـ – الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة – الطبعة: بدون .
- جامع الأصول في أحاديث الرسول لمجد الدين ابن الأثير ت: ٦٠٦هـ – تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون – الناشر: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان الطبعة: الأولى .

- جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن لابن كثير ت: ٧٧٤هـ – تحقيق: د عبد الملك بن عبد الله الدهيش – الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، – الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .
- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم لأبي نصر محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي ت: ٤٨٨هـ – تحقيق: د. علي حسين البواب – الناشر: دار ابن حزم – لبنان/ بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
- حوار في رواق أزهري للدكتور/ محمود حسن مخلوف – الناشر: مؤسسة بداري للطباعة، أسيوط – بدون.
- خصائص التعبير القرآني وسماته للدكتور/ عبد العظيم المطعني ت: ١٤٢٩هـ – الناشر: مكتبة وهبة – الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .
- الخصائص لابن جني ت: ٣٩٢ه – الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة: الرابعة بدون.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين، الخطيب الشربيني ت: ٩٧٧هـ – الناشر: مطبعة، القاهرة: ١٢٨٥ هـ .
- شرح المفصل للزمخشري لابن يعيش ت: ٦٤٣ه – قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوي ت: ٧٤٥هـ – الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ه.
- العزف على أنوار الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة للدكتور/ محمود توفيق سعد – الناشر: بدون، الحقوق محفوظة للمؤلف – الطبعة: الأولى ١٤١٤ه .
- علل النحو لابن الوراق ت: ٣٨١هـ – تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش – الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، السعودية– الطبعة: الأولى١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م .
- الكشاف للزمخشري ت ٥٣٨ه – الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

- لسان العرب لابن منظور ت: ٧١١ه – الناشر: دار صادر، بيروت – الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.
- مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم ت: ٥١٨هـ – تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد – الناشر: دار المعرفة – بيروت، لبنان – الطبعة: بدون.
- المسند الجامع – حققه ورتبه وضبط نصه: محمود محمد خليل – الناشر: دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت – الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣ م.
- مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى " للبقاعي ت:٨٨٥هـ – الناشر: مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.
- مفاتيح الغيب للرازي ت:٦٠٦ه – الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
- المكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني ت: ٤٤٤هـ – تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان – الناشر: دار عمار – الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحو للدكتور/ أحمد عفيفي – الناشر: مكتبة زهراء الشرق ١١٦ ش محمد فريد، القاهرة – الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- نظم الدرر في تناسب السور للبقاعي ت: ٨٨٥ه – الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – الطبعة: بدون.
- الهداية إلى بلوغ النهاية لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي ت: ٤٣٧هـ – تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي – الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	٤٧٩٥
٢.	Abstract	٤٧٩٦
٣.	المقدمة:	٤٧٩٧
٤.	التمهيد: وفيه أربعة محاور:	٤٨٠٠
٥.	أولا: خصائص السورة.	٤٨٠٠
٦.	ثانيا: العلاقة بين المعنى والفاصلة.	٤٨٠٥
٧.	ثالثا: العلاقة بين المعنى والوقف.	٤٨١٠
٨.	رابعا: العلاقة بين المعنى والإعراب.	٤٨١٣
٩.	المبحث الأول : تجاذب العلاقة بين العموم والخصوص وما يستلزم كونه مستعاذا به وبين ما تقضيه الفاصلة من:	٤٨١٧
١٠.	كمال التلطف والتربية.	٤٨١٨
١١.	كمال النفاذ والقدرة.	٤٨٢٥
١٢.	كمال التضرع والقربي.	٤٨٣٤
١٣.	المبحث الثاني: تجاذب العلاقة بين الإجمال والتفصيل وما يستلزم كونه مستعاذا منه، وبين ما تقتضيه الفاصلة من:	٤٨٤٣
١٤.	كمال الحذر من جنسه.	٤٨٤٥
١٥.	كمال الحذر من فعله.	٤٨٥١
١٦.	كمال الحذر لتعدد جهته.	٤٨٥٨
١٧.	الخاتمة	٤٨٦٢
١٨.	فهرس المصادر والمراجع	٤٨٦٣
١٩.	فهرس الموضوعات	٤٨٦٦

تم بحمد الله